

الفصل الثاني



جمال المرأة وزينتها في الشعر

المبحث الأول : معايير الجمال في تلك الفترة.

المبحث الثاني : صور الجمال في الشعر .

الشعر ، الملابس، الحلي، الكحل.

الخال، الخضاب، الطيب.

obeikandi.com

المبحث الأول
معايير الجمال

معايير جمال المرأة :-

الجمال منحة إلهية يهبها الله من يشاء. والإنسان بطبيعته ميل إلى الجمال وقد تطورت معاييرهِ بتطوره. فاختلقت مقاييسه وطرقه من زمن، ومن بلد إلى آخر، نظراً لاختلاف الناس واختلاف الحضارات والبيئات والأذواق. قال ابن حزم: (ولقد شهدت كثيراً من الناس. قد وصفوا أحبباً لهم في بعض صفاتهم بما ليس بمستحسن عند الناس ولا يرضى في الجمال، فصارت هجيراًهم عُرّة لا هوائهم، ومنتهى استحسانهم) (١) والجمال نسبي. ما نراه جميلاً قد يجده غيرنا على العكس.. ما دام مرجعهُ إلى الذوق، وهو يتباين بتباين درجة الحضارة، والبيئة. وقال أيضاً (إنني أحببت في صباي جارية لي شقراء الشعرِ فما استحسنتُ في ذلك الوقتِ سوداء الشعرِ) (٢) ويؤكد ذلك قاتلاً (٣): [البسيط]

كانما الغنيدُ في عينيهِ جنان	منهم فتى كان في محبوبه وقص
وهل تزان بطول الجيد بغيران؟	وقص، فليس بها عنقاء واحدة
يقول حسبي في الأفواه غزلان	وأخر، كان في محبوبه قوة
يقول إن نوات الطول غيلان	وثالث كان في محبوبه قصر

فتلك نظرة فردية حيث نظر إلى الجمال الحسي بمنظاره الخاص. لكننا نجد معياراً قد يكون ثابتاً للجمال متعارفاً عليه عند العرب. وربما انتقل إلى الأندلس بانتقال الأمويين إليها. (وكذلك انتقل معه ما نجده في الشعر الأموي والعباسي من تشبيه النساء بالطباء والبقرات ومن الفاظ تتردد فيه أمثال الكتيب والدعص والبدري.

(١) طوق الحمامة: ص ٦٠. وردت (وعرضة) بالواو والصحيح حذفها.

الهجير: الهجير (بتشديد الجيم المكسورة) ما يولع به الإنسان فيصبح عنده كالدأب والعادة. انظر هامش المصدر السابق.

(٢) طوق الحمامة: ص ٦١.

(٣) المصدر نفسه: ص ٦٣.

بل نجدُ التعبيراتِ التي كانَ يلجأُ إليها شعراءُ المشرقِ من ارتجاجِ الردفِ وتأوُدِ القَدْرِ وغير ذلك) (١). وربما نتوصلُ إلى معاييرِ الجمالِ السائدةِ في عصرِ الطوائفِ من خلالِ أشعارِهِم التي جاءتِ منسجمةً معِ مُتطلباتِ عصرِهِم وأذواقِهِم. فنجدُ الأندلسيِّ أكثرَ تجاوباً من شعراءِ المشرقِ ، معِ مشاهدِ الطَّبِيعَةِ لِجمالِ بلادِهِ. فسرى نَفْسُها في عناصرِ وصفِ جمالِ المرأةِ، فَغَدَّتْ لَدَى الشاعِرِ متسمةً بملامحِ المرأةِ، (فوجهُها قمرٌ) (٢) وإشراقهُ وجهِها بدرٌ في بياضِهِ . يقولُ (٣) أبو محمد بن صاره الشنتريني (٤) المتوفى سنة ٥١٧هـ: [الطويل]

أعندك أن البدرِياتِ ضجيعي ققضيتُ أوطاري بغيرِ شفيعي

ويقول ابن (٥) حمد يس واصفاً بياضَ وجهها مشبهاً إياها بالكافور. [مخلع

البسيط]

زارت على الخوفِ من رقيب كظبية رُوِّعت بذيبي
كافورةً في بياضِ لون ومسكةً في ذكي طيب

وفي المعنى نفسه يقول ابن زيدون : [الرمل]

يا أبا البدرِ سناءً وسنا حَفَظَ اللهُ زماناً أطلعك

(١) الدكتور صلاح الدين المنجد: جمال المرأة عند العرب: ص ٤٧ ط بيروت ١٩٥٧.

(٢) ابن دحية : المغرب من أشعار أهل المغرب ص ١٤ - ١٥ تحقيق إبراهيم الإبياري ط. الأميرية ١٩٥٤.

(٣) الذخيرة : م ١ ق ٤ ص ٣٦٣.

أبو محمد بن صاره البكري الشنتريني ، سكن أشبيلية واحترف الوراقه. وكان شاعراً أديباً ماهراً ولكنه عاثر الجد. إمتدح الولاة والرؤساء توفي سنة ٥١٧.

انظر العماد الأصبهاني : فريدة القصر : ج ٢ ص ٢٥٦ (شعراء الأندلس وأدبائها).

(٤) ديوان ابن حمد يس : ص ٦.

(٥) ديوان ابن زيدون : ص ١٢ تحقيق كامل كيلاني.

لقد أغرم الشعراء ببياض وجه المرأة وصفاء بشرتها وإشراقها يقول ابن هارون^(١) :
[مخلع البسيط]

يَكاذُ وَجْهَ الَّذِي يَراهُ يُكسى بياضاً من الضياءِ
كأنه فيك بدرٌ تمُّ يقطعُ في زُرْقَةِ السَّماءِ

ويقول المستشرق الأسباني أميليو غرسيه غومس:

(أن المثل الأعلى لجمال المرأة الأندلسية المسلمة ، أن تكون ببيضاء ويتجلى الوجه الوردى في جمال القمر ومن هنا جاء تشبيههم إياها بالفجر)^(٢) فمعيارُ جمالِ الوجه الكافورُ والضياءُ، والقمرُ. والبدرُ.. يُستمدُّ منه إشراقُته . وقد فَضّلوا البياض على السُمرَةِ وشقْرةِ الشعرِ على سوادهِ إلاّ إننا نجد ابن شهيد وصفَ عادةَ بياضِ ذاتِ شعرٍ أسودٍ فاحم . يقول^(٣): [الرمل]

رَشَّابِلٌ عَادَةٌ مَمكُورَةٌ عُمِّمَتْ صُبْحاً بِلَيْلٍ أَسْوَدًا

ويقول ابن حزم : (وأما جماعة خلفاء بني مروان - ولا سيما ولدُ الناصر منهم ، فكلُّهم مجبولون على تفضيل الشقْرة . لا يختلفُ في ذلك منهم مختلفٌ . وقد رأيناهم فما منهم إلاّ أشقرٌ ، نزاعاً إلى أمهاتهم ، حتى قد صارَ ذلك فيهم خلقةً).^(٤)
ويقول غرسيه (وإن كنا نعرفُ أنّ بني أمية الأندلسيين كانوا يُفضلون الشقراوات)^(٥) وأكثرهم تغزلاً بالشقْرة (المروان الطليق)^(٦) يقول^(٧): [الرمل]

-
- (١) التشبيهات : ص ١٣١ قطعة ٢٥١ .
 - (٢) أميليو غرسيه غومس : الشعر الأندلسي ص ٩٣ ترجمة د. حسين موسى ط ١٩٥٦ . وانظر المصدر نفسه : ص ٨٥ - ٨٦ .
 - (٣) ديوان ابن شهيد : ص ٥٠ تحقيق شارل بلا .
 - (٤) طوق الحمامة : ص ٦١ . الممكورة : دقيقة المحاسن . عبد الرحمن الناصر : أعظم خلفاء بني أمية بالأندلس . وقد استمر حكمه خمسين سنة من سنة ٣٠٠هـ إلى ٣٥٠هـ .
 - (٥) غرسيه غومس : شعر الأندلسي : ص ٨٥ . وانظر الطوق : ص ٦٢ .
 - (٦) أنظر طوق الحمامة : ص ٦٢ .
 - (٧) الشعر الأندلسي : ص ٨٥ .

سأل لام الصدغ في صفحته

سيلان التبرِ وافى الورقا^(١)

ويقول ابن^(٢) زيدون: [البيسط]

رنيبُ ملك كأنَّ الله أنشأه

مسكاً وقدَّرَ إنشاء الوري طيننا

أو صاعه ورقاً محفاً وتوجّه

من ناصع التبر إبداعاً وتحسيناً

فقد كانت الفضة معياراً للبياض. والذهب والشمس معياراً لشقرة الشعر ولجماله؛ يُشَبَّه بالشمس. وما الدنيا بدون شمس إلا وجود تافه. يقول ابن حزم^(٣): [الطويل]

يعيبونها عندي بشقرة شعرها

فقلت لهم هذا الذي زانها عندي

يعيبون لون النور والتبر ضيلة

رأي جهول في الغواية ممتد

ولم تجد من بين الشعراء من أعجب أو وصف امرأة سوداء بل على العكس وجدنا ابن حزم قد ذمَّ سواد البشرة وعده عيباً يقول^(٤): [الطويل]

وأبعد خلق الله من كل حكمة

مفضل جرم فاحم اللون مسود

به وصفت ألوان أهل جهنم

ولبسة باك متكل الأهل محتد

فالسواد لم يكن لوناً مستحباً قط^(٥) لكننا نجد أبا الصلت يتغزل بسواد جارية أسمها عزة قائلاً^(٦) [السريع]

وقد أقدت المسك فخراً بأن

أصبح يحكك وتحكينه

(١) الورقا : الفضة.

(٢) ديوان ابن زيدون : ص ٦ كامل الكيلاني.

(٣) طوق الحمامة : ص ٦٣.

(٤) المصدر نفسه : والصفحة نفسها.

(٥) جمال المرأة عند العرب : ص ٥٨.

(٦) ديوان الحكيم أبي الصلت أمية: ص ١٤٧.

لا شك إذ لوتكما واحد إنكما في الأصل من طينه

وربما صور لنا ابنُ بسام، معاييرَ جمالِ عندِ المرأةِ مما جعلها مثالا للروعةِ والفتنةِ إن توافرت هذه الصفاتُ لديهاكـ (١) (ظهورِ الكشحِ وجولانِ الوشحِ، وسموتِ القلبِ والخلخال) (٢) ... وعند وصفه لولادةِ قال (أقبلتُ بقدي كالكضيبِ، وردف كالكثيبِ، وقد أطبقتُ نرجسُ المقلِ وبتتأ بليلةِ نجني أقحوانِ الثغورِ . ونقطفُ رمانِ الصدورِ) (٣) فيقول ابنُ زيدون (٤): [الرمل]

يا فتيتَ المسكِ يا شمسَ الضحى يا قضيبَ البانِ، يا ريمَ الفلأ

فاعتدالِ القوامِ، وطولِ القامةِ. وامتلاؤها مع ضمورِ الخصرِ، كل ذلك كان من الأسبابِ التي دعتهُم إلى تشبيهِ القدودِ. بقضيبِ البانِ. والخيزرانِ.

قال ابنُ حصن (٥) الإشبيلي: [الرمل]

ومما يعيظُ الخيزرانةَ أنها بعقدتها فوق الحشا تتمنطقُ

وقد أعجب الشعراءُ بالمشوقهِ القدِ ونالت استحسانهم، يقول ابنُ حمد يس (٦): [المتقارب]

وممشوقةُ القدِ معشوقةُ
وقد يُميتُ حياةَ العصونِ
تُعذبُ أنفُسَ عشاقِها
فتذري نضارةَ أدلاقِها

(١) الذخيرة : م ١ ق ٢ ص ١٤٧.

(٢) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(٣) الذخيرة : ق ١ م ١ ص ٤٣٠.

(٤) ديوان ابن زيدون : ص ٢٧٥. تحقيق كامل كيلاني.

(٥) انظر الذخيرة: م ١ ق ٢ ص ١٧٨.

(٦) ديوان ابن حمد يس: ص ٣٢٢.

وقد جاء^(١) في التشبيهات وصفاً لضمور البطون وهيف القدور وحسن
الوجوه يقول: [المنسرح]

أهيفُ مثلُ القضيبِ منزرةً يَظْمُ ما فوقَهُ من الهَيْفِ
كالبدْرِ وجهاً كالغصنِ مُنعطفاً كالذَرِّ لفظاً. كالرَوْضَةِ الأَنْفِ

وقد تحدث الشعراء عن الخصر، وأطالوا في نعوته، ربما لشيوع الرقص
وكثرة الجوارح التي يتطلب منهن ضمور خصرهن فتفنن الشعراء في وصفه
بالنحيل، والهضم والسقيم، والمجدب.. قال عبادة^(٢) بن ماء السماء المتوفي
(٤٢٢هـ) يصف الخصر بالنحول: [الكامل]

ورأيتُ خصرَكَ يشتكِي ما أشتكِي . فضممتُهُ ضمَّ النحيلِ نحيلاً
فكأنما قَلْبُ الفراقِ تلاقياً بالجزعِ أو حُسْبِ البكا تنويلاً

وقال يوسف^(٣) بن هارون ناعثاً إياه بالنحول والرقّة: [الرمل]

ترَكَ الجسمَ يُحاكي خَصْرَةَ وهو في رِقَّتِهِ كالمُفصلِ

ومثله قول ابن^(٤) حصن الأشيبي: [المتقارب]

غلاميةٌ ليسَ في جِسمِها مكانٌ دَقِيقٌ سوى خَصْرِها

(١) التشبيهات: ص ١٣١ قطعة رقم ٢٥٠. الهيف: ضمور البطن. والروضه الأنف: المحميّة
التي لا يرهاها أحد.

* الأبيات لأبي عبد الله محمد بن مسعود البجائي، أصله من بجاية وسكن قرطبة فنسب إليها،
وكان كثير الشعر. انظر الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٥٦٢.

(٢) التشبيهات: ص ١٤٢ قطعة رقم ٢٨٦.
عبادة بن ماء السماء: أبو بكر بن عبد الله بن محمد بن عبادة مدح الوزير ابن حزم ورثى أبا
بكر بن زيدون والد أحمد بن زيدون وهو من فحول الشعراء توفي في مالقة سنة ٤٢٢.

(٣) التشبيهات: ص ١٥٩ قطعة ٣٤٠.

(٤) الذخيرة: م ١ ق ٢ ص ١٤٢.

ويقول أبو الصلت أمية بن عبد العزيز المتوفى سنة ٥٢٩ هـ في جارية
أسمها^(١) (تجني): [مخلع البسيط]

شهِ هِيفَاءٌ قَدَّمْتُهَا هِيفَاءُ كَالغِصَنِ فِي النَّتْهِ

والمرأة إذا كانت ممثلة بين السمينة والنحيفة ، وضامرة البطن، ونحيلة
الخصر وُصِفَتْ بِالْخَيْرَانِ. وفيها يقول^(٢) ابن حصن الأشيبلي: [الطويل]

ومما يَغِيظُ الْخَيْرَانَ أَنهَا بَعْدَتْهَا فَوْقَ الْحَشَا تَتَمَنَّقُ

ومن معايير جمالهم ثقل الأرداف ولينها، فُسِّبَتْ بِالْكَثْبَانِ مَعَ نَحُولِ الْخَصْرِ
ونحافته يقول ابن خفاجة^(٣): [الطويل]

مِنَ الْهَيْفِ ، أَمَا رَدْفُهُ فَمَنْعَمٌ خَصِيبٌ ، وَأَمَا خَصْرُهُ فَجَدِيبٌ

وقال آخر في المعنى ذاته^(٤): [المقارب]

طِوَالُ الْفُرُوعِ قِصَارُ الْخَطَا يُقَالُ الرَّوَادِفِ هَيْفُ الْخِصُورِ

ويقول الأمير الطليق^(٥) في الخصر والردف: [الرمل]

رَقَّ مِنْهُ الْخَصْرُ حَتَّى خَلَّتْهُ مِنْ نَحُولٍ شَفَّهُ قَدْ عَشِقَا
وَكَأَنَّ الرَّدْفَ قَدْ نَيَّمَهُ فَعَدَا فِيهِ مَعْنَى قَلِقَا
نَاحِلًا جَاوْرِقِيهِ نَاعِمًا كَحَبِيبِي ظَلَّ لِي مُعْتَنَقًا

(١) ديوان الحكيم أبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني : ص ١٤٩ جمع وتحقيق محمد المرزوقي
طبعة دار الكتب الشرقية / الأتحاد العام التونسي سنة ١٩٧٤ .

(٢) الذخيرة: م ٢ ق ١ ص ١٨٤ .

(٣) شعر ابن خفاجة : ص ٢١ . تحقيق وجمع كرم البستاني .

(٤) ديوان ابن حمد يس: ص ٢٦٤ .

(٥) الشعر الأندلسي : ص ٨٦ .

وقد فضّلت الأرداف الضخمة الثقيلة، اللينة، وفيها يقول ابن
زيدون^(١): [الطويل]

فإني اعتسفت الهول، خطوك مُدمجُ

ورِدْفكِ وجراجُ، وخصركِ مُخطفُ

وقد فضلوا الأطراف البضة البيضاء والأظافر الدقيقة. وشبهوا الأنامل بالورد
لنعومتها ودقتها، أما الساقُ فكُنِيَ عنها بصموتِ الخلال^(٢) لا متلاتها، فإذا وُضِعَ
الخلخالُ لم يتحركْ ولم يُسمَعْ له صوتٌ... وغابوا الساقَ الدقيقةَ غيرَ الممتلئة^(٣)،
وأحبوا الساقَ المكتنزةَ باللحمِ.

يقول يوسف بن هارون في جمال الأطراف^(٤): [السريع]

كأنما أطرافه فضّةٌ صيغ لها أظفارُ عقيان
كأنما يسترُّ عن ناظري بنائهُ ورداً بسوسان

ونجدُ الخدَ الناعمَ الأسيلَ في نعومته معياراً للجمال فشبه بالوردِ والشقائق
وربما فضّل الخدَ المرتفع يقول ابن حصن الأشيلي^(٥): [البسيط]

ومُخَدِّدُ الخَدِّ بالأوهامِ ناعمةٌ كأنه سوسنٌ بالوردِ ملطومُ

ويبدو أن اللون المفضل للخد هو اللون الأحمر. أما إذا انفعل خجلاً فيكتسب
حمره الياقوت، يقول يوسف بن هارون^(٦): [الكامل]

(١) ديوان ابن زيدون : ص ١٠١ كامل وخليفة.

(٢) الذخيرة : م ١ ق ٢ ص ١٤٧.

(٣) الجمال عند العرب : ص ٧٢.

(٤) التشبيهات : ص ١٢٠.

(٥) الذخيرة : م ١ ق ٢ ص ١٨٤.

(٦) التشبيهات : ص ١٢٨ القطعة ٢٤٣.

الياقوت من نظير العيون إليه
وجناته عادت إلى شفقيه

وكان ذر الخد يكسى حمرة
وكان خجلته إذا ما فارقت

وأكثر الشعراء من تشبيه الخدود بالفواكه كالنفاح يقول^(١) ابن هارون:

[الخفيف]

وتتعمت في خدود صباح
صار فيها الخيلان في الورد شها
زائدات على بياض الصباح
للغوالي في أحمر التفاح

وقد شبهت ثمره النارج بالخدود. وقد عقد مشابهة بين النارج والغيد التي
تلهب القلوب بحمرة الخدود يقول ابن^(٢) سارة المتوفى (٥١٧هـ). [الطويل]

أحمر على الأغصان زادت غضارة
به أم خدود أبررتها الهوادج

أما العيون فقد كثر القول حولها لما لها من سحر وتأثير وقد أفرد لها ابن
حزم في طوق الحمامة (باب الإشارة بالعين)^(٣) وأدرك أهمية العين ودورها الفعال
في جمال الحب تعلقاً ومخاطبة، وتواصلًا روحانيًا فقال: - (العين تتوب عن الرسل،
ويدرك بها المراد)^(٤) ومن معايير الجمال المطلوبة في العيون سعتها وسحرها
وحورها ومرضاها فقالوا: أعين مرضى ونظرات سقيمة. ووصفوها بالنرجس
لذبولها وفتورها وشبهوها بعيون الطبي والمها يقول ابن حزم^(٥): [الوافر]

سبى قلبي بالحاظ مرضي
وقد الغصن في حسن القوام

(١) المصدر نفسه: ص ١٢٩ القطعة ٢٤٤، شعر الرمادي: ص ٦١.

(٢) الدكتور سعد إسماعيل: البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر / ص ١٢٧ ط ١. القاهرة / ٧٨ عن

مسالك الأبصار: ج ١١١ - لوحة ٣٨٦.

(٣) طوق الحمامة: ص ٦٦.

(٤) طوق الحمامة: ص ٦٧.

(٥) المصدر نفسه: ٩٥.

وقال يوسف بن هارون^(١): [الطويل]

وأحور وسنان الجفون كأنما به سقم في لحظه غير موجع
كان بعينه خضوعاً ومن رمى بالحاظه تلك الخواضع يخضع

وفي فتور العين ومرضها قوله^(٢): [الكامل]

في لحظ طرفك عبرة لسقامه وفعاله فعل الحمام المؤلف
فكأنه خلل بدا في مرفف ماض وليس بضائر للمرفف

وكلما كانت العين ناعسة حاملة سقيمة . أحدثت سقماً مقابلاً عند المحب^(٣)
وأكثر ما تواردت خواطر الشعراء على التشبيه بالعيون المراض^(٤) ، يقول^(٥) ابن
خفاجة: [الطويل]

هي الظبي طرفاً أحوراً وملاحظاً مراضاً وجيداً أتلعاً ونفارا

وفي سعة العين يقول^(٦) ابن حمد يس مطابقاً وصفه للمشاركة كعيون البقرة
الوحشية: [المتقارب]

حسان تدير بسحر الهوى عيون المها في وجوه البدر

أما عيون الغزال فكانت معياراً لطيفاً للجمال في حورها وتكلها . وفي سن
الطرف يقول ابن زيدون^(٧): [البسيط]

غريزة - لم تفارقها تمائمها تسبي العقول يساجى الطرف وسان

(١) التشبيهات : ص ١٣٣ قطعة ٢٥٨

(٢) المصدر نفسه : ص ١٣٢ قطعة ٢٥٤ .

(٣) الجمال عند العرب : ص ٤٧ .

(٤) الذخيرة : م ٢ ق ٣ ص ٦٠٥ .

(٥) ديوان ابن خفاجة : ص ٢٢٣ .

(٦) ديوان ابن حمد يس : ص ٢٦٤ .

(٧) ديوان ابن زيدون : ص ٢٦٧ - كامل كيلاني . الغريزة : ساذجة ، انظر المصدر نفسه : ص ١٩٢

تحقيق علي عبد العظيم .

وشبهه الحكيم أمية تأثير العيون بالمحب بتأثير المدام بالأبواب^(١): [الرمل]

رَشَاءُ تَفْعَلُ عَيْنَاهُ بِنَا مِثْلَمَا تَفْعَلُ بِاللَّبِ الْمَدَامِ
شَابِهَتْ وَجَنَّتْهُ مِنْ صُبْغِهَا حَمْرَةً فِي كِبْدِي مِنْهَا ضِرَامِ
وَرَمَى قَلْبِي فَادَمَى خَدَّهُ أَتْرَاهِ انْعَكَسَتْ فِيهِ السَّهَامِ

ويقول ابن حمد يس^(٢): [الرمل]

ظِيْبَةٌ فِي الْعَقْدِ إِمَّا التَّقَتَتْ وَمَهَاءٌ حِينَ تَرْنُو فِي النَّقَابِ

وتغزل ابن الحداد الجوادى أشى بفتور العيون وسعتها وجمالها
قائلاً^(٣): [الكامل]

عُجْ بِالْحَمَى حَيْثُ الْغِيَاضُ الْعَيْنُ فَعَسَى تَعَنَّ لَنَا مَهَاءُ الْعَيْنِ^(٤)
تَوْرِيذُ خَدِّكَ لِلصَّبَابَةِ مَوْرِدٌ وَقَتُورُ طَرْفِكَ لِلنَّفُوسِ قَتُونُ

وفي فتورها يقول ابن حمد يس^(٥): [المتقارب]

بِعَيْنٍ إِذَا سَحَرْتَ بِالْفَتُورِ بَدَأَ لِمَهَا بَعْضُ أَحْدَاقِهَا

وقد شُبِّهَتْ لِحَاطُ الْعَيْنِ بِالصَّوَارِمِ، وَالسِّيُوفِ الْقَاطِعَةِ. بَلْ هِيَ أَمْضَى مِنْهَا.
فَإِنْ دَخَلْتَ قَتَلْتَ وَلَمْ تَخْرُجْ^(٦). وَيُقَالُ إِنَّ الْعَيْنَ الزَّرْقَ وَالْخَضْرَ مِنْ مَعَايِيرِ الْجَمَالِ.

(١) ديوان الحكيم : ص ١٤٥.

(٢) ديوان ابن حمد يس : ص ٦٢.

(٣) الدكتور عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي ج ٤ ص ٦٥٧.

(٤) عَاجُ بِالْمَكَانِ : أَقَامَ. الْغِيَاضُ الْمَكَانُ يَكْتَثُرُ فِيهِ الشَّجَرُ وَيَلْتَفُّ. الْعَيْنُ (جَمْعُ عَيْنَةٍ) الْجَمِيلَةُ الْمَنْظَرُ، الْفَائِقَةُ عَلَى غَيْرِهَا) الْمَهَاءُ: الطَّبَاءُ (النِّسَاءُ الْجَمِيلَاتُ) الْعَيْنُ جَمْعُ عَيْنَاءٍ (بِفَتْحِ الْعَيْنِ) الْمَرْأَةُ الْوَاسِعَةُ الْعَيْنَيْنِ.

(٥) ديوان ابن حمد يس : ص ٣٣٢.

(٦) المقرئ : أزهار الرياض: ج ١ ص ٣٠٨.

الدخيل أو المطعم وتكون عند الشقراوات على الأغلب^(١). وقد تغزلوا بالعيون
النرجسية قال ابن عمار^(٢): [الوافر]

رشاً يرنو بنرجسة^(٣) ويعطو
بُوسان ويبسُم عن أقاح

ويقول المستشرق الفرنسي هنري بيريس: (لقد ظهرت في إسبانيا الإسلامية
نظرية أخرى ترى في الحب قوة سحرية تُمارسُ خصوصاً بوساطة النظر. فهناك
سائل لا يرى، يُولدُ من الفكر (سحر النها) ويمر بوساطة العينين، وإذا لم يتكلم
الشعراء عن هذا الموضوع كثيراً فإنهم يخشون هذه القوة^(٤)) ويبدو أنهم لم يخشوا
تلك القوة لكثرة وصفهم للعيون وتأثيرها، وراحوا يتغزلون بألوانها كوصف
الرمادي^(٥) للعيون الخضراء: [المنسرح]

كَأَنَّ أَجْفَانَهُ جَفُونُ الَّذِي أَهْوَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْهَرَ
كَأَنَّهَا كَوْوَسُ فُضَّةٍ فُرْشَتْ قِيَعَانَهُمَا بِالزَّمْرِدِ الْأَخْضَرِ

ومثله قوله^(٦) في خضرة العيون النرجسية: [الطويل]

دَمٌ قَدْ حَكَاهُ الْوَرْدُ فِي اللَّوْنِ سَائِلًا عُرُوقٌ حَكَتْهَا خُضْرَةُ عَيْنِ نَرْجَسٍ

(١) جمال المرأة عند العرب: ص ٦٣ - ٦٤.

(٢) ديوان ابن عمار: ص ٢٥٢ وانظر فلاند العقيان: ص ٨٤.

(٣) النرجس: نبت من الرياحين له زهر أصفر. انظر ديوان ابن عمار: ص ٧٧ جمع وتحقيق
صلاح خالص ١٩٥٣ - باريس بخط يده. انظر الديوان: ص ٦٩ عن رسالة الدكتوراة لغة
الشعر في القرنين الثاني والثالث ص ١٤١ رسالة تقدم بها جمال العبيدي/ ١٩٨٢. على الآلة
الكاتبة.

(٤) هنري بيريس: الشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر: ص ٤١٠ - ٤١١

- منشورات معهد الدراسات الشرقية - كلية الآداب بالجزائر.

(٥) شعر الرمادي: ص ٦٨ - عن البديع: ١٤٢.

(٦) شعر الرمادي ص ٧٨.

ويصف ابن اللبانة العيون النرجسية قائلاً: [الطويل]

وَسَنَانٌ وَرَدَ جَمَالِهِ فِي خَدِهِ غَضُّ وَنَرَجَسٌ مَقَاتِيهِ ذَائِلٌ^(١)

أما النهْدُ : فقد شُبهَ بالرَّمانِ لاستِدَارَتِهِ وَصَلَابَتِهِ، قال : ابن عبد ربه (لا يُحَسِّنُ نَحْرُ الْمَرْأَةِ حَتَّى يَعْظُمَ ثَدْيَاهَا)^(٢) فأعزفوا عن النهود الضخمة واستحسنوا النهود الكواعب ويظهران تأثير النهود في قتل المحبين كتأثير العيون قال^(٣) ابن النِّينِ البَطْلَيْوسَ المِتَوَفَى (٤٩٠هـ) : [الكامل]

لم يكف أن سلبوا الأسنَّةَ والطَّبِي حتى استعانوا أعيننا ونهودا

ومما جاء التشبيه مقلوباً في النهود الكواعب قول ابن سارة^(٤) : [الكامل]

هذي البسيطة كاعب^(٥) أبرادها حُلُّ الرِّبِيعِ وَحُلِيِّهَا الْأَزْهَارُ

وقد استعار يوسف بن^(٦) هارون الرمان، للنهد أيضاً قوله: [الطويل]

تَعَانَقَ فِي الْأَضْلَاعِ قَلْبِي وَقَلْبُهَا وَقَامَ لَنَا وَحْيُ الْعَيْونِ بِأَذْرِعِ

وَضَمَّتْ عَلَي رِمَانَتَيْهَا كَأَنَّمَا تَعَانَقْنِي كَفَا أُسِيرٍ مُكَنَّعٍ^(٧)

وقال الرمادي^(٨) في تشبيه نهود الكواعب بالتفاح وتحديد حجمها... وهي

التي لا كبر فيها ولا ارتخاء. [الطويل]

(١) شعر ابن اللبانة الداني : ص ٨١

(٢) العقد الفريد : ج ٦ ص ١٠٧.

(٣) تاريخ الأدب العربي : ٤ ص ٧٣٥.

(٤) السنان : الرمح. الطبعة (بضم ففتح) : حد السيف.

(٥) المغرب : ج ١ ص ٣٧٠.

(٦) الكاعب : الفتاة في أول صباها . البُرد بالضم الثوب من حرير . (الحلي بالضم) : الثوب النقيس.

(٧) التشبيهات : ص ١٤٤ قطعة ٢٩٢ . المكنع : الذي قيد بالأغلال.

(٨) شعر الرمادي : ص ٥٤ . وانظر التشبيهات : ص ١٣٦ قطعة ٢٦٨ وانظر القطعة ٢٧٠ : ص ١٣٧.

ليالي يميني تَقْبِضُ الكَأْسَ مَرَّةً
نهود كَتْفَاحِ اللَّجِينِ كَأَنهَا
وأخرى لها قَبْضُ عَلَى نَهْدِ كَاعِبِ
لتدويرها قد أَغْرَقَتْ فِي قَوَالِبِ

أما الجيدُ فكان هو الآخر موطناً للجمال والإغراء. وفضلت المرأة الغيداء. ومعاييرهم في طول الرقبة ولطافة الأسنان وبياضها وجمال المَبْسَمِ وصِغَرِ الثَّغْرِ ربما ورثوها من المشاركة في تشبيهااتهم لها يقول ابن حصن الأشبيلي^(١) كناية عن طول الرقبة. وقد رأوا أن الأقرط الطويلة تحلو في العنق الطويل وهو ذوق سليم.

[الطويل]

بَعِيدَةٌ مَهْوَى القُرْطِ مُصَمَّمَةٌ البَرَى
تَضَعُضُ عَلَى العِنَابِ بالبَرْدِ الشَّهِي
لَطِيفَةٌ طَيِّ الكَشْحِ رِيًّا المُدْمَلَجِ
وَتَمَسُحُ ماءِ الطَّلِّ فَوْقَ البِنْفَسِجِ
جَلَّتْ بَعْقِيقِ جَوْهَرًا فَتَبَسَّمتْ
وَذُبَّتْ عَنِ الوَرْدِ النَّدِيِّ بِصَوْلَجِ

وقد أعجبوا بالمبسم الذي ينم عن أسنان بيضاء لؤلؤ كالبرق. وقد شبهت الثغور بالأفحوان^(٢) قال ابن^(٣) حمد يس: [مخلع البسيط]

مَنْ تَقَّبَ بارِدِ حِصَاءِ
مَنْظِمِ اللُّؤْلُؤِ الشَّنِيبِ^(٤)
وقد شبهت الشفة بالعقيق والأسنان بالذر يقول الرمادي^(٥): [المديد]

وَعَلَى الأُسْنَبِ بَابًا عَقِيقِ
يَحْقَظَانِ الذَّرَّ بَأَنَّ لَا يُضَيِّعِ
ويبدو أنهم قد فضّلوا الثغور (وهي ما يظهر من الأسنان)، فينبغي أن تكون قَلْجاً^(٦) وقد قيل في قَلَجِ الأَسْنَانِ وَتَحْنِيئِهَا^(٧): [البسيط]

(١) النخيرة: م ١ ق ٢ ص ١٨٠.

(٢) المصدر نفسه: م ١ ق ١ ص ٤٣٠.

(٣) ديوان ابن حمد يس: ص ٦.

(٤) الشنب: الريق البارد، والأسنان البيضاء.

(٥) شعر الرمادي: ص ٨٠.

(٦) جمال المرأة عند العرب ص ٦٦.

(٧) التشبيهاات: ص ١٣٤ قطعة ٢٦٠.

يا حَيْدَا الفَلَجِ المعسولُ رَيْقَتُهُ وكلُّ حرفٍ به من لفظه خَطَرَا

ثَغْرُ كَحَقِّ به الدرُّ النَفِيسُ غدا ملآن منه فمَنْظوماً وَمُنْتَثِرا

ويقول ابن حمد يس^(١) في تشبيه الثغْرِ بالأقحوان: [الرمل]

فالقوام الغصن. والرديف النقا والأفاح الثغْر، والطل الرضاب

ولكننا نجد من بين الشعراء من فضل الرونق وماء الصبا والشباب على هذه

المقاييس يقول أبو عبد الله بن قاضي مَيْلَةَ^(٢): [الرمل]

قَلْتُ للحسناءِ لما أَبصَرْتُ دمعَ عيني قد جرى فيما جرى

جَالَ في خَدَيْكَ من ماءِ الصَّبَا رونقٌ يسُبي سبناه البَشَرا

تَأخُذُ الأَجْفَانُ مِنْهُ رِيَّها فإذا جازَ التَّبَاهِي قطَرا

وجملة القول إن الشاعر جعل للمرأة في عصر الطوائف مقياساً معيناً للجمال

المادي فالمفضلة عنده هي الطويلةُ القَدِ. الممشوقة^(٣) الخيزرانة^(٤). البيضاء الوجه^(٥).

الحمراء^(٦) الخد. إقحوانية^(٧) الثغْرِ. لمياء الشفهِ^(٨) مقلجة الاسنان^(٩). الجوراء^(١٠).

(١) ديوان ابن حمد يس : ص ٦٢.

(٢) ابن دحية : المطرب من أشعار أهل المغرب: ص ٤٨. وأبو عبد الله من أفاضل الشعراء. وأحد شعراء المائة الخامسة المعروفين بالإجادة والموصوفين بالإحسان. وميْلَةَ التي نسب إليها، هي بالكسر مدينة صغيرة بأقصى إفريقية

(٣) ديوان ابن حمد يس : ص ٣٢٢.

(٤) الذخيرة : م ١ ق ٢ ص ١٧٨، شعر ابن حصن الأشبيلي.

(٥) ديوان ابن زيدون : ص ٦.

(٦) التشبيهات : ص ١٢٨ القطعة ٢٤٣.

(٧) ديوان ابن حمد يس : ص ٦٢.

(٨) التشبيهات : ص ١٣٣ قطعة ٢٥٨.

(٩) التشبيهات : ص ١٣٤ قطعة ٢٦٠.

(١٠) المصدر نفسه : ص ١٣٣ قطعة ٢٥٨.

الترجسية العين^(١) . الجيداء^(٢) الغريرة^(٣) . الكاعب^(٤) . الضامرة^(٥) الخصر .
الكثيبة^(٦) الأرداف . الناعمة الملمس البضة الجسد . وهذه المعايير المادية ربما جمعت
في قطعة للحكيم أمية متغزلاً بالجوارى قائلاً^(٧) : [المنسرح]

قامت تدير المدام كفاها	شمس ينير الذبي مياها
إن أقيبت فالقضيب قامتها	أو أدبرت فالكثيب رذفاها
للمسك ما فاح من مراشفها	والبرق مالاخ من ثناياها
غزالة أخلت سميتها	قلم تشبه بها وحاشاها
هناك لها حسنها وبهجتها	فهل لها خدها وعيناها؟

ويعلل المستشرق الأسباني أميليو غرسيه غومس إعجاب الشعراء الأندلسيين
المفرط بالجمال البدني المحسوس بقوله (ربما كان ذلك من الخصائص المميزة للعقلية
العربية ورثته يفا، ورثت من مشاعر البدو وميولهم، شأنه في ذلك شأن الحب
العذري الذي إنحدر من البدو إلى الأجيال المتوالية عن طريق العرب المسلمين)^(٨)
ولكننا نرى هذه المعايير التي أفتتن بها ، قد تكون فعلاً متوافرة عند المرأة الأندلسية .
فالأندلسي لم يصف امرأة من الخيال ولم يذكر أسماء وهمية كما كان يفعل البدوي بل
أعجب بامرأة جالسها والتقى بها . ولو لم تكن حاملة لهذه الأوصاف لما نعتها بها لأنه
خاطب امرأة ذات أذن صاغية لندائه مستسيغة لشعره .ز فلا يمكن أن يصفها بنعوت

(١) قلاند العقيان : ص ٩٥ .

(٢) الذخيرة : م ١ ق ٢ ص ١٨٠ .

(٣) ديوان ابن زيدون : ص ٢٦٧ .

(٤) المغرب : ج ١ ص ٣٧٠ .

(٥) ديوان ابن حمد يس : ص ٢٦٤ .

(٦) المصدر نفسه : ص ٦٢ .

(٧) ديوان أمية بن أبي الصلت : ص ١٥٧ .

(٨) الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه : ص ٨٧ .

بعيدة عنها. نقول إن هذه المعايير متشابهة وليست متوارثة وإن اختلفت بعض الشيء حيث أن البدوي فضل المرأة المكتتزة اللحم. ذات العكن^(١). في حين أعجب الأندلسي بالنساء الضامرات البطون. وأعجب بالشقراء البيضاء بينما البدوي أعجب بالسمرات.

نستطيع أن نخضع معيار الجمال للعامل الوراثي، ولكن لا يمكن أن نخضع الإعجاب به، إلى الوراثه قطعاً. فمثلاً لو كان والدك قد أعجب أثناء شبابه بإمرأة طويلة القامة أو زرقاء العيون فهل ينتقل هذا الإعجاب لك وراثياً فتقع في غرام إمرأة تحمل هذه المقاييس!؟! بالطبع كلا.

وذكرنا في بدء هذا المبحث نسبية الجمال واتفقنا مع ما ذهب إليه ابن حزم الأندلسي في خضوعه لتباين الأذواق...

يقول غرسيه غومس (فلم يعد المحبون منهم يستشعرون من جمالها إلا الحسن الملموس أي الصورة البدنية، فاندفعوا في الإعجاب بها اندفاعاً عنيفاً لا يرد)^(٢). لكننا وجدنا الشاعر في فترة الطوائف قد أعجب بجمال المرأة الروحي وافتتن به كعشقه لجمالها المادي. فامتزجت المعايير الحسية الغريزية مع المعايير الروحانية الأفلطونية العذرية.

فبعضهم سُحِرَ بكلامها وحيديتها فأثارت في نفسه الحب الروحي لسرعة بديتها كـ(اعتماد الرميكية) ومثلما كان القُدُّ، والنهدُ والخصرَ والردفُ كان العقلُ والذكاءُ والخفةُ والدهاءُ. وربما كان هذه تخرج عن روح المرأة فتؤثر في روح الرجل. ولم يعد الجسدُ هو هدفه كما كان عند الشاعر المشرقي. فالرجل الأندلسي كان على مستوى رفيع من الثقافة بحيث لم يكتف بالجسد وجماله بل طلب ما هو أسمى منه وهو الجمال المعنوي. فنجد ابن زيدون تغزل بجمال صاحبه المادي.

(١) العكن: الأعطان: الأطواء في البطن من السمن (اللسان/ عكن)

(٢) الشعر الأندلسي بحث في تطوره وخصائصه: ص ٨٧.

ولكنه أعجب بنظمها وحلاوة روحها وحسن معاشرتها، وقيل عن ولادة (وقد تهالك الكتاب على حلاوة عشرتها) (١). وأما ابن زيدون فقد قال: (٢) [الرمل]

يا غزلاً جُمعت فيه من الحُسن فنونُ
أنت في القربِ وفي البُعدِ من النَّفسِ مكينُ

ربّما قصد بهذه الفنون، جمال العشرة التي تتمثل بجمال الروح وحسن الحديث، وقد أشار الشعراء إلى هذه المعايير الجمالية، ومنهم الشاعر ابن اللبّانة (٣) [الكامل]

وتكلمت فكان طيبَ حديثها مُتعت منه بطيب مسكٍ أذفرِ
هزت بنعمة لفظها نفسي كما هزت بذكراه أعالي المنبرِ

ومثله قول ابن حصن الأشبيلي (٤): [الطويل]

حديثاً كعرف العنبرِ الورد بيننا مع المسكِ مفتوقاً يذُرُّ ويسحقُ

ومنهم من أعجب بقولها للنثر ونظمها للشعر كابن حسن الأشبيلي (٥): [البيسط]

يُهدي لك الدرّ من لفظٍ ومبتسمِ ضربان مُنتثرٌ منه ومنظوم

وقد أعجب ابن حمد يس برخامة المنطق. وحلاوته. وحسن الحديث. وفي ذلك يقول (٦): [الخفيف]

ذاتُ لفظٍ تجني بِسَمْعِكَ مِنْهُ زَهراً في الرياضِ نَدَاهُ طُلُّ
لا يملُ الحديثُ عنها معاداً كانتشاقِ الهواءِ ليس يَمَلُّ

(١) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٣٧٦.

(٢) ديوان ابن زيدون: ص ٢٢١. تحقيق نديم مرعشلي

(٣) شعر ابن اللبّانة: ص ٥٣.

(٤) الذخيرة: م ١ ق ٢ ص ١٧٨.

(٥) المصدر نفسه: م ١ ق ٢ ص ١٨٤.

(٦) ديوان ابن حمد يس: ص ٣٥٣.

وقد أشرنا إلى ما يتطلب من الجوارح في مبحث سابق ورأينا أن أوصافهن الروحية، هي السرعة في الحركة ، والخفة في الروح. وحسنُ المُجالسة. ورقةُ الطبع ورهافةُ الحسن. والذللُ. والغنَج. وسحرُ الحديث. وحلاوةُ الغناء. وجمالُ الصوت علاوةً على المظاهرِ الجسمية.

وقد رُوِيَ أن (ريحانة) ^(١) التي اشتراها هذيل بن خلف بن رزين المتوفى سنة (٤٣٦هـ) بثلاثة آلاف دينار قد إنصفت بأوصاف ساعدت على شرائها بهذا المبلغ، منها الرقة ، وخفة الروح . وعذوبة الغناء، وحضورُ البديهة. وفي معايير الجمال الحركي وقصر الخطوات يقول ابن الحداد الوادي، أشي ^(٢) (ت ٤٨٠ هـ). [الكامل]

أقبلن في الحبرات يقصرن الخطا ويُرِين في حُللِ الوراشين القَطَا
مأخجل البدر المنير إذا مشى يختال والخوط النضير إذا خطا

ومن مقاييس الجمال، التهادي في المشي يقول ابن حزم ^(٣): [البسيط]

كأنما مشيها مشي الحمامة لا كدُّ يُعال ولا بطء ، به باسُ

وقال عبادة ^(٤) في اعتداد المرأة بنفسها وجمال مشيها: [الخفيف]

كلما مسّت في الرداء توارت بقنّاع غزالة الأبراج
أو تمشت بحاسر الرأس أو في ملك للملاح من غير تاج

ويقول المستشرق الفرنسي هنري بيريس (تحتل المرأة والحب مكاناً كبيراً في الشعر الأندلسي ، فعندما يصف الشاعر موضوع الطبيعة تظهر المرأة وكأنها

(١) الحلل السندسية في الآثار المراكشية: شكيب أرسلان جـ ٢ ص ١٠١

(٢) الذخيرة : م ٢ ق ١ ص ٧١١ ، والإحاطة : جـ ٢ ص ٣٧.

(٣) طوق الحمامة: ص ١٢.

(٤) التشبيهات : ص ١٢٢ . القطعة : ٢٣٠.

مرتبطة ارتباطاً كبيراً بجمال الحقائق والأنهار.. وتذكرنا الأوراد والأحجار الكريمة
بالتقاييم بمقارنة مع الفم والخد والعين ومجوهرات المرأة. كما أنّ للألوان علاقة وثيقة
بالمرأة وخصوصاً باللونين الأحمر والأصفر فاللون الأصفر يرمز إلى العاشق
الشاحب الذي يعيش في حالة شك وأرق ويرمز اللون الأحمر إلى فتاة عذراء تحب
أن تعذب حبيبها^(١) .. إن الشاعر الأندلسي جعل الطبيعة تحاكي معايير الجمال عند
المرأة كما جعل الفضل للمحكي لا للحاكي. فصوّر جمالها أروع تصوير مما يدل
على أنه كان مؤمناً كلّ الإيمان بها. وقد أخرجها بهذه الصورة وعبر أنفاس الحب
ونسائم الحبيب.

ولقد توافرت في المرأة الأندلسية أمثلة رائعة للجمال المادي والجمال الروحي
وربما عدت مقاييس خالدة للجمال على مر العصور.

(١) انظر : الشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر: ص ٣٩٧.

obeikandi.com

المبحث الثاني

زينة المرأة في الشعر

- ١- الشعر.
- ٢- الملابس.
- ٣- الحلي.
- ٤- الكحل.
- ٥- الخال.
- ٦- الخضاب.
- ٧- الطيب.

زينة المرأة :-

لقد حرصت المرأة منذ أقدم العصور على ارتفاع مستوى جمالها بتجميلها وقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه قوله: (إني لأحب أن أتزين للمرأة كما أحب أن أتزين لي)^(١).. وللزينة دواعيها. ولما كانت مقاييس الجمال لا تتوافر مجتمعة إلا في القليل من النساء، لذا استعانت المرأة بوسائل الزينة المختلفة^(٢).. ومنهم من علل ذلك (ارضاءً لرغبة الشعراء. يقول ربما كان للشعر في الغزل والتشبيب حافزاً كبيراً في دفع المرأة إلى التزيين أيضاً)^(٣)، ويرى الآخر أن (ليس لهن من العمل العام ما يشغل فراغهن، فماذا يستطعن أن يعملن؟ إن لم يخصصن أوقاتهن للزينة والملبس)^(٤).

ولكننا نرى أن حياة الترف والبذخ الذي وصل أوجه في ذلك العصر، عصر الانغماس في الملذات. قد انعكس على مظهر المرأة وأناقته في ملابسها وتسريحة شعرها. واستعمال الخضاب. والتكحل والتعطر والتطيب. ولبس الحلي. وما عرفته عن النسوة العربيات زيد بفعل احتكاكها بالمرأة بالأجنبية.. ثم أنها أرادت أن تحقق طموحها في مجارة المقاييس الجمالية التي تتسجم وذوق المجتمع بشكل عام لأنها فعلاً كانت طموحة عريضة الآمال. ولا ننسى أنها أصبحت نداءً للرجل. ولما كان الرجل يحب في المرأة جمالها، أرادت أن ترضى غروره لتفوز بقلبه (وقيمها تدل بوضوح على أن المرأة تابعة للرجل)^(٥).

وقد تفننت المرأة في زينتها فظهرت أكثر أناقة من إختها المشرقية.. كما أنها لم تقتصر على الزينة المنظورة بل تفننت في الزينة المسموعة التي نهاها الله عز

(١) صيد الخاطر: ج١ ص ١٣٥.

(٢) التزييق والحلي عند المرأة في العصر العباسي: ص ٦.

(٣) المرأة العربية: ج١ ص ١٤٧.

(٤) أحمد خاكي: المرأة في مختلف العصور ص ٢٧ - ٢٩.

(٥) سلمى الحفار: في ظلال الأندلس ص ١٢٥.

وجل عنها^(١). وهي (أن لاتضرب المرأة برجلها إذا مشّت لتسمع صوت خلخالها)^(٢).

ولقد صورت لنا أشعارهم زينتها بطريقة سلبت العقول وخبأت الألباب.

(١) الشَّعْر :

لقد إهتَمَّ العربُ كثيراً بالشَّعْر وأحبوه في المرأة^(٣). فرووا عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الشَّعْرُ الحَسَنُ كسوةِ الله فأكرموه)^(٤). لذا نجد المرأة اهتمت بتمشيطه وتسريحه وظفره وصبغه وتخضيبه وتزيينه بالأمشاط والأحجار الكريمة والتيجان المرصعة بالجواهر فأحرى بهن أن يتفنن ويتكرن الأشكال الجميلة في تصفيفه وتسريحه^(٥)، وربما أثر زرياب^(٦) بتسريحته فيهن أكثر من تأثير فنه. ولقد ذكر صاحب نفع الطيب دخوله الأندلس وكان (جميع من فيها من رجلٍ أو امرأة يرسلُ جمته مفروقاً وسطَ الجبينِ عاماً للصدغينِ والحاجبينِ. فلما عاينَ ذورَ التحصيلِ تحنَّقه هو وولده ونسائه لشعورهم وتقصيرها دون جباههم وتسويتها مع حواجبهم وتدويرها إلى آذانهم، وإسدالها إلى أصداعهم حسيماً عليه اليوم الخدم والجواري هوت إليه أفئدتهم واستحسنوها)^(٧).

(١) انظر سور النور، آية رقم (٣١)

(٢) القرطبي : الجمع لاحكام القرآن : ج٦ ص٦٢٩. طز دار الشعب - القاهرة.

(٣) جمال المرأة عند العرب : ص ٤٩

(٤) بهجة المجالس وأنس المجالس : ج٢ ص ٦١.

(٥) الدكتورة بتول العلاف: عناية المرأة بشعرها عبر العصور. بحث نشر في مجلة الأدبية العدد الثاني ص ٩٣ - ٩٨ - ٩٩ سنة ٦٩. دار الجمهورية

(٦) النفح : ج١ ص ٣٢٢.

قدم زرياب (واسمه على بن نافع) إلى الأندلس سنة ست ومائتين من العراق وهو مولى المهدي ومعلم إبراهيم الموصللي. وهو مغني مشهور. انظر ترجمته في التمهيد.

(٧) النفح: ج٤ م ٢ ص ١٢٣ - ١٢٤.

ومن خلال الأشعار التي قيلت في المرأة وجدناها قد تأثرت إلى حد بعيد بتصنيف شعرها بتسريحات ذلك القرن بتدويرها إلى (أذانهن وارسالها^(١)) على أصداغهن) .. وبلغ من اعتنائها به أنها غسلته بماء الورد وضمخته بالطيب والعطور. ويظهر أن الشعر الجميل لفت أنظار الملوك والوزراء والشعراء حتى ولو كان شعراً لجارية من جواريتهم . فقول إن جارية من جواريت المعتمد بن عباد (ت سنة ٤٨٨ هـ) قد مشت بين يديه يوماً وكان (لها نوايب تخفي أباة الشمس في مدلهما فسكب عليها أثناء ماء ورد فامتزج الكلُّ ليناً واسترسالاً، وتشابه طيباً وجمالاً)^(٢) وفيه قال النحلي: [الكامل]

يَندي بماءِ الوردِ مُسبِلٌ شعرِها كالطَّلِّ يَسْقُطُ من جناحِ الطائرِ
تزهى برونقها وعِزِّ جمالِها زَهُو المؤيدِ بالثناءِ العاطرِ

ولم يقتصر غسل الشعر على ماء الورد. بل تفننت المرأة بتعطيره بالطيب. وأكثرت من استعمال المسك الثمين في تطيبه وفي ذلك يقول ابن حمد يس^(٣):
[الوافر]

وذاتِ ذوايبِ بالمسكِ ذابتُ بلَغْتُ بها المنى وَحيَ التمني
ومِثْلُه قَوْلُه^(٤) في المبالغةِ في استعمالِ المسكِ وطولِ الشعرِ
وَعَقْرِيَّتُه: [الطويل]

وساحبة ليلاً من الشعرِ الجُثْلِ لها مَثَلٌ في الحُسنِ جَلٌّ من المثلِ
تَمَجُّ فتيَتِ المسكِ منه أساودُ معقِبةٌ إذ نأبهنَّ على النعلِ

(١) الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده: ص ٨٤. وانظر التزييق والحلي: ص ٧٦.

(٢) الذخيرة: م ٢ ق ٢ ص ٨٠٩.

النحلي: شاعر من شعراء المعتمد بن عباد عاش ضمن فترة القرن الخامس الهجري.

(٣) ديوان ابن حمد يس: ص ٤٨٩. وانظر الغرض نفسه في النفع: ج ٤ م ٢ ص ١١٢.

(٤) المصدر نفسه: ص ٣٥٠.

ومن مظاهر رعايتها لشعرها واهتمامها به، جعلته مفرطاً في طوله فقد جاوز
ردفها ووصل إلى أخصم قديمها وفيه يقول الشاعر^(١):

فتحسبُ منها الرجلُ^(٢) جانباً أخصماً فليسَ بمعقودٍ ولا بمسرحٍ

ربما كانت هذه الظاهرة عند الجواري لجذب الأنظار إليهن يقول^(٣):

[الطويل]

وبي كلَّ غيداءِ القوامِ كأنما يُطاولُ منها قَدَها شعراً جثلاً
وقد أفرط الشعراء في تشبيه الشعر الأسود بالليل والدجى^(٤)، وربما شَبَّهوه
بالغسق، يقول التطيلي^(٥): [البيسيط]

تَوَجَّتُ بالدجى فالشعرُ من غَسَقٍ والخذُّ من شَفَقٍ والشعرُ من قَلَقٍ
ومثله قول^(٦) ابن الحنَّاط القرطبي المتوفي (٤٣٧هـ) في امرأة بيضاء ذات
شعرٍ أسودٍ فاحمٍ: [مخلع البيسيط]

شمسٌ ولكنَّما فرعها ليلٌ على صبَّحها فاحم
وربما كان الشعرُ الأسود علامةً فارقةً للحرائر، تميَّزها عن السبايا من
الإفرنج. يقول أبو مروان بن غصن الجباري^(٧) المتوفي (٤٥٤هـ): [الكامل]
لولا خفارتُها وحالكُ شعرِها قلنا سبَايا من بناتِ الأصغرِ
أما الرماديُّ فيستنبطُ من إجتماعِ الضدينِ جمالاً بقوله^(٨): [الطويل]

-
- (١) ديوان ابن حمد يس: ص ٧.
 - (٢) الرجل: أي شعرها المسترسل جاذباً أخصم قديمها من طوله.
 - (٣) ديوان ابن حمد يس: ص ٣٧٦. وانظر المصدر نفسه: ص ١٣.
 - (٤) انظر التشبيهات: ص ١٢٢ القطعة ٢٢٩. وص ١٢٥ القطعة -٢٣٤. وص ١٢٧ - القطعة ٢٣٩. وص ١٢٨ قطعة ٢٤٢. ديوان ابن خفاجة: ص ١١٢ وديوان ابن حمد يس: ص ٢٩٨ و٣٥٠. الذخيرة: م ١ ق ٤ ص ١٠٢. والنفح: ج ٤ م ٢ ص ١٩٠.
 - (٥) ديوان التطيلي / ص ٧٨. وانظر النفح: ج ٤ م ٢ ص ١٩٠.
 - (٦) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٤١.
 - (٧) المصدر نفسه: م ١ ق ٣ ص ٣٣٥.
 - (٨) التشبيهات: ص ١٢٢ قطعة ٢٢٩.

ووجهك إصباح وهجرتك كالصرف^(٢)
وإن أبغ ليلاً بت في شعرك الوحف^(٣)

وجدتك دهرًا ثانيًا شغرك الذجي
فإن أبغ^(١) صبحًا كان خذك مصبجي

ومن التشبيهات قول ابن زيدون^(٤) في الشعر الأسود الطويل: [الطويل]

هنيك اغتررت الحي !! واشيك هاجع

وقرعتك غريبب، وليلتك لائل^(٥)

ومثله قوله فيه أيضًا^(٦): [الكامل]

هذا الصباح على سراك رقيباً

فصلي بقرعك ليلتك الغريببا

وقد إنبهروا بالشعر الأشقر وتغزلوا به، وكثرت التشبيهات في وصفه فشبه

بالتبر، والسلاسل الذهبية، وبالشفق^(٧)، كما شبه الشعر الأسود بالفحم^(٨).

(١) الصرف : يعني صروف الدهر أي أحداثه وتقلباته.

* ابن الحنّاط : أبو عبد الله محمد بن سليمان كان أبوه يبيع الحنطة. وكان من أوسع الناس علماً. انظر ترجمته في الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٤٣٧ - ٤٣٨.

(٢) التشبيهات: ص ١٢٢ قطعة (٢٢٩).

(٣) الرصف : الشديد السواد.

(٤) ديوان ابن زيدون: ص ٤٨٣. تحقيق علي عبد العظيم وجاء فيه وليلتك أغصف والليل الأغصف: المظلم.

(٥) اغتررت الحي: خدعتهم وحضرت إلينا على غرة منهم، فرعتك: شعرك الغزير. غريبب: شديد السواد. ليل لائل: أشد ليلي الشهر ظلمة وطولاً.

(٦) ديوان ابن زيدون: ص ٣٢٤. ط. نفسها

(٧) المصدر نفسه: ص ١٢٤ قطعة ٢٣٢. وانظر ديوان ابن زيدون: ص ١٤٤ تحقيق علي عبد العظيم.

(٨) نور الدين ابن سعيد: عنوان المرقصات والمطربات ص ٨٢ - ٨٤. دار الكتب العربي للطباعة

وتَبَرِّزُ ظَاهِرَةً أُخْرَى لِلشَّعْرِ المَجْعَدِ القَصِيرِ الأشْقَرِ. تَغْزَلُ فِيهَا عِبَادَةُ بِنِ مَاءِ
السَّمَاءِ قَائِلًا^(١): [الخفيف]

وَكأنِ التَّفَافَ شَعْرَكَ جَعْدًا فَوْقَ وَجْهِ يَضِي ضَوْءَ السَّرَاجِ
طَبَقٌ مُكْفَأٌ مِنَ التَّبَرِّ مَحْضًا تَحْتَهُ لِلعَيُونِ لُعبَةٌ عَاجِ

ونذهب مع ما ذهب إليه المستشرق الفرنسي هنري بيريس في تعليقه قائلًا
(نجد أن المرأة السمراء ذات الشعر الطويل المثال الكلاسيكي للمرأة التي يتغنى بها
الشعراء. لكنَّ القرنَ الحادي عشر الميلادي أظهر ضحبا وتعلقاً بالشعراء ذات الشعر
القصير)^(٢) والمسألة، ذوق تتعلق بالإنسان.

ومثلما تغزل عبادة بالشعر القصير تغزل ابن هارون بالشعر الأشقر الطويل.
وقد شَبَّهَهُ بِسَلْسَلِ الذَّهَبِ، واجتماعه مع بياض البشرة أعطى جمالا رائعاً^(٣).
[الكامل]

كسَلْسَلِ الذَّهَبِ المورسِ فَوْقَ وَجْهِهِ مِنْ لُجَيْنٍ بِالمَلَاخَةِ قَدْ زَهَا
وَكذا الصَّبَاخِ بِيَاضُهُ فِي شُقْرَةٍ فَكأنَّهُ بِهِمَا غدا فُتْشِبُّهَا

ونجدُ القَيْنَةَ الرَّاقِصَةَ. قد اهتمت هي الأخرى بشعرها فراحت تمشطه وتتركه
مسدولاً. وكانت هذه التسريحة مفضلة عندهن. أثناء مزاولة الرقص. يقول ابن حمد
يس^(٤): [الطويل]

كَمَا مَشَطَّتْ غَيْدُ القِيَانِ شَعُورَهَا وَقَامَتْ لِرُقْصٍ فِي غَلَاتِلِهَا الخمرُ

وقوله^(٥): [المتقارب]

- (١) التشبيهات: ص ١٢٢ قطعة ٢٣٠.
- (٢) الشعر الأندلسي في العربية الفصحى في القرن الحادي عشر: ص ٤٠٢.
- (٣) التشبيهات: ص ١٢٥ قطعة ٢٣٤.
- (٤) ديوان ابن حمد يس: ص ١٩٢.
- (٥) المصدر نفسه: ص ١٣.

وَسُوْدِ الذَّوَانِبِ يَسْحَبْنَهَا كَسَعِيِ الْاَسَاوِدِ فَوْقَ الْكُثِيْبِ
تَوَافِقُ بِالرَّقْصِ اَقْدَامُهُنَّ يَطَانُ بِهَا نَعْمَاتِ الذَّنُوْبِ

وكثيراً ما أعجب الشعراء بتصنيف شعرهن وإرساله على أصداغهن^(١)،
ومثله قول الحكيم أمية بن عبد العزيز^(٢): [الكامل]

جَلَّتْ عَقَارِبُ صَدْغِهِ فِي خَدِهِ قَمراً يُجَلُّ بِهَا عَنِ التَّشْبِيهِ

وَرَسَمَ لَنَا الرَّمَادِي تَسْرِيحَةً أُخْرَى لِلشَّعْرِ الطَّوِيلِ الْأَشْقَرِ. وذلك بانسدال شعر
الصدغ ولوئيه ، وعقربة الذوائب المنسدلة على الردف وتشبيههما بالافاعي والعقارب.
يقول^(٣): [مجزوء الكامل]

غُرِرُ اللَّجِيْنِ وَفَوْقَهَا أَصْدَاغُ عَقِيَانِ لَوَاعِبِ
تُؤَوِّجُنْ مِنْهُ وَأُرْسِلَتْ مِنْهُ إِلَى الْكُثْبِ الذَّوَانِبِ
أَصْدَاغُهُنَّ مَعَ الذَّوَا نِبِ كَالْأَسَاوِدِ وَالْعَقَارِبِ

وقد شبه شعر الصدغ بالنون قائلاً^(٤): [الطويل]

وَصَدْغِيْنَ كَالنُّونِيْنَ كَاللَّيْلِ عَقْرِبَا عَلَى وَرْقٍ إِنْ يَلْقَ لِحْظاً تَعْسُجِدَا

ومنهن من صققت شعرها. وجعلته غدائر منسدلة. مما دعا الشعراء أن
يشبهوا صفائهن بالاساود.

وقد نحواً نحو المشاركة في هذه التشبيهات كعادتهم. ومنهم من شبهه بقنوان
العناقيد من يانع الكرم^(٥) .. وربما كان لإهتمام المرأة بشعرها ولجماله ما جعل

(١) انظر ديوان ابن زيدون ورسائله: ص ١٧١ تحقيق على عبد العظيم. وانظر تحقيق نديم
مرعشلي: ص ١٢. مكتبة نهضة مصر بالجيزة ١٨ شارع كامل صدقي.

(٢) الديوان : ص ١٥٩.

(٣) شعر يوسف بن هارون : ص ٥٢ . وانظر التشبيهات : ص ١٧ قطعة ٢٣٩.

(٤) المصدر نفسه : ص ٦٣.

(٥) جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس : ص ٣٧٧.

الشعراء يُولعون به لدرجة جعلتهم يرضون عن الليلي السود لأنها تُشبه لَمَّةَ الحبيبة،
ومثل ذلك قولُ يوسفَ بنِ هارون^(١): [الوافر]

وكنتُ عن الليلي غير راضٍ بحالٍ إذ جئتُ بتغييرِ حالي
فلما إن رأيتُ الليلَ شبيهاً للممَّةِ رضيتُ عن الليلي

وهكذا كان الشعر عنوان زينة المرأة الأندلسية والإهتمام به من مظاهر ثائقها
وتحضرها. فلفت ذلك أنظار الشعراء وأفاضوا في الحديث عن جماله، وتفننوا في
تشبيهاهم له، ورسموا صوراً رائعة لألوانه وأنواعه.

(٢) الملابس :-

يبدو أن المرأة الأندلسية لها باع طويل في الأناقة . فقد حذر طارق بن زياد
جنده (من بنات اليونان الرافلات في الدر والمرجان . والحلل المنسوجة بالعقيان)^(٢)
.. وهو معذور في تحذيره . فقد روي عن رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم
، قال :-

"أخوف ما أخافه عليكم فنتة النساء ، قالوا كيف يا رسول الله، قال إذا لبسن
ريط اللثام، وحلل العراق، وغصب اليمن . ومن كما تميل أسنمة البخت، فإذا فعلن
ذلك كلفن المعسر ما ليس عنده"^(٣) والملاحظ عليها أنها بهرت الرجال بأزيائها التي
إتسمت بطابع الأناقة والنفاسة والإسراف^(٤) . لقد لبست من أصناف وأنواع الأقمشة
مالا يوجد في بقاع العالم حيث توافرت في بلدها من (صنوف الخز الطرزي والكساء
العنبري والمرش والديباخ، والديباخ الرومي)^(٥) كما عرفت الثياب السوسية^(٦) .

(١) شعر يوسف بن هارون: ص ١١٠ . التشبيهات: ص ١٢٢ قطعة ٢٢٨ .

(٢) النوح : ج ١ ص ٢٢٦ .

(٣) ربيع الأبرار: ص ٢٧٩ .

(٤) الأدب الأندلسي موضوعاته ومقاصده: ص ٨٣ .

(٥) ابن عذاري : البيان المغرب : ج ١ ص ٢٩٦ .

(٦) الذخيرة : ق ٤ م ٢ ص ٦٥٣ .

وثياب الخَزِّ الغبيديّ^(١) والملابس السحولية^(٢). حيث كانت في الأندلس مصانع (للحلل
الموشية النفيسة)^(٣) (والموشية بالذهب)^(٤). ومن (طراز الوطاء البسطي من الديباج
الذي لا يُعرف له نظير)^(٥). كما لبست (الوشى المهلهل)^(٦) و(التياب القلشانية)^(٧) و
(الحرير الجيان)^(٨) والحرير الخسرواني^(٩) الذي قال فيه ابن بسام (قد أهب بالذهب
نحورها وحواشيها وقرنت بالعسجد اسافلها وأعاليتها، وكحلت بأسلاك الجواهر
خطوطها ورسومها ووصلت بالياقوت الأحمر دوائرها ورفوفها)^(١٠).

وإذا عرفنا الحرير من لباس أهل الجنة^(١١). فقد عرفت المرأة من (طرازه
ثمانمائة طراز / كما لبست السقلاطون. والأصبهاني. والجرجاني والستور المكالة
والتياب المعينة، والعنابي والمحاجر. وصنوف أنواع الحرير)^(١٢) الأخرى. ويقول

(١) المقتبس : ج ٥ ص ٤٢٨ . ط. مدريد ١٩٧٩ .

(٢) الروض المعطار: ص ٣٠٨.

(٣) فضائل الأندلس وأهلها: ص ٥٧.

(٤) المقتبس : ج ٥ ص ٤٢٨ .

(٥) الروض المعطار : ص ١١٣ .

(٦) الذخيرة : م ١ ق ٢ ص ٣١٩ .

(٧) الروض المعطار: ص ٤٦٦. والتياب القلشانية: تعمل في قلشانة غربية الصنعة.

(٨) النفع: ج ٤ ص ٢٠٤. وانظر . فضائل الأندلس وأهلها: ص ٥٥ - ٦٨ .

(٩) الخسرواني: الحرير الرقيق الحسن في الصنعة، منسوب إلى خسرو أحد ملوك الأكاسرة. انظر

: المطرب من اشعار أهل المغرب: ص ١٩٥ .

(١٠) الذخيرة: م ١ ق ٣ ص ٤٣٤ .

الملابس السحولية : نسبة إلى سحوال في اليمن .

والسحل: ثوب من القطن، المخصص: ج ٣ ص ٦٧ .

(١١) انظر القرآن الكريم : سورة الحج . رقم الآية (٢٣) . بسم الله الرحمن الرحيم "إن الله يدخل

الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يُحَلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرٍ مِنْ ذَهَبٍ

وَلَوْلُؤَا وَكِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ . صدق الله العظيم .

(١٢) الذخيرة: ق ١ ص ٤٣٥ .

ليفى بروفنسال كانت إسبانيا تُصدّر الأقمشة الثمينة والحليّ إلى أوربا^(١) وثمة أقمشة أخرى هي:-

المفصص، والمقسّم ، والمشوب^(٢) . فهذه أهم صنوف الأنسجة ولقد إزدانت المرأة بألوان الملابس الجذابة، وأفادت من هذا التنوع والتفنن في الملابس مما دعا الشعراء إلى التغزل بملابسها.

وقد روي أنها لبست القميص كما لبسه الرجل^(٣) . ويبدو أنها بلغت من الأناقة في الأزياء إلى درجة جعلت قميصاً للصباح وآخر للمساء. يقول إدريس^(٤) بن اليماني المتوفي سنة (٤٧٠هـ). [الطويل]

سرت في قميص^(٥) الصبح وهو جسيذ فابلت قميص الليل وهو جديذ
ولما استمد الأفق من نور وجهها تقاصر باع الليل وهو مديذ

وقد ذكر لنا الشعراء ألواناً وأصنافاً من القمصان منها الأبيض الذي يشبه الغيم الرقيق والأصفر المشبه لأشعة الشمس . كما ورد في شعر ابن خفاجة^(٦): [الكامل]

ورقلت بين قميص غيم هلل
ورداء شمس قدتمزق أصفراً

(١) سلسلة محاضرات ليفى بروفنسال : ص ٥٣.

(٢) النفع : ج ٥ م ٣ ص ٨٧.

(٣) التكامل في التاريخ: ج ٩ ص ٢٨٩.

(٤) الذخيرة : ق ٣ ص ٣٥٨.

(٥) القمص: إن كلمة قميص تسلت إلى اللغة الرومانية. والقميص عند المغاربة له كمان مفتوحان. كل كم من هذين الكمين يبلغ طوله أحياناً خمسة أذرع. ويعلقان غالباً فوق الظهر بحيث أن الذراعين تظلان حينئذ مكشوفتين - وحول العنق يكون هذا القميص دائماً وإبدا مطرزاً بالحريير الأصفر. انظر:

رنهارت دوزي: المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب : ص ٣٠٠ - ٣٠١ ترجمة الدكتور أكرم فاضل - وزارة الأعلام - مديرية الثقافة العامة ، دار الحرية للطباعة - مديرية مطبعة الحكومة - بغداد ١٩٧١ م - ١٣٩١هـ.

(٦) ديوان ابن خفاجة: ص ٣٩ . الهلhel: ما فيه نقوش وصور كالأهلة.

ومنها ذو اللون الأسود كما قال ابن شهيد^(١): [الطويل]

مَضَى السَّلْفُ الوُضَّاحُ إِلَّا بَقِيَّةَ كَغُرَّةِ مُسَوِّدِ القَمِيصِ بِهِمْ

وفيه يقول ابن عبد الصمد^(٢): [الكامل]

وأحْمَ مُسَوِّدِ القَمِيصِ كَأَنَّمَا خَلَعْتَ عَلَيْهِ ثِيَابَهَا الظُّلْمَاءُ

ويُفسر رينهارت دوزي كلمة (درع) (بالقميص) فيقول:

(لَا تَتَطَبَّقُ إِلَّا عَلَى قَمِيصِ المَرَأَةِ. وكثيراً ما اسْتَعْمَلَ الشعراءُ هذه الكلمة

للإشارة إلى المَرَأَةِ نَفْسِهَا) (٣) .. وَيُسْتَشْهَدُ بِبَيْتٍ للمعتدِّ بنِ عبادٍ وردَ في قلائد

العقيان يقول^(٤): [الكامل]

إِن نَشَرْتَ تِلْكَ الدَّرُوعَ مَنادِئاً يَخْتَالُ فِي حُلِّ مَنِ الخِيَلِ

أما الراقصاتُ فكنَّ يُوَثِّرُنَ الحمرَةَ مِنَ المَلايِسِ. وهذ الراقصةُ قد زهت

بقميصٍ أحمرٍ يقولُ فيها إبنُ خفاجة^(٥): [الكامل]

وكانها والريحُ عابِثَةٌ بها تَزْهِي فَتَرْقِصُ فِي قَمِيصِ أَحْمَرِ

وردت الحُلَّةُ كثيراً في الشعرِ مما يدلُّ على تداولها بين النساءِ وربما كانت

من أزياء المناسباتِ يقولُ أبو الصلتِ أمية^(٦): [الكامل]

أهلاً به لَمَّا بَدَأَ فِي مَشِيهِ يَخْتَالُ فِي حُلِّ مَنِ الخِيَلِ

وعَدَّ ابنُ زيدون^(٧) الحُلَّةَ من مَلايِسِ المَرَأَةِ الحِسانِ: [المتقارب]

(١) ديوان ابن شهيد : ص ٤٧١.

(٢) الذخيرة: م ٢ ث ٣ ص ٨١٧.

(٣) المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: ص ١٤٥.

(٤) المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: ١٤٥.

(٥) الذخيرة: م ٢ ق ٣ ص ٦٠٠.

(٦) ديوان الحكيم أبي الصلت أمية : ص ٤٨.

(٧) ديوان ابن زيدون : ص ٤١٧ تحقيق علي عبد العظيم.

هي الشمسُ مَعْرَبُهَا فِي الْكَلِّ^(١) ومطلَعُهَا مِنْ جُيُوبِ الْحَلْلِ

وقد تَفَنَّنُوا فِي تَطْرِيزِ الرِّدَاءِ بِخِيُوطٍ مِنَ الذَّهَبِ وَكَانَتْ تُشْغَلُ حَاشِيَتُهُ وَتُطَرِّزُ:
وفيه يقول أبو القاسم (الأسد بن إبراهيم)^(٢) المتوفى سنة (٤٤٠هـ). [الكامل]

لَبَسُوا^(٣) مِنَ الزَّرْدِ الْمُضَاعَفِ نَسْجُهُ مَاءً طَفَّتَ لِلْبَيْضِ فِيهِ حَبَابُ
صَفٌّ كحَاشِيَةِ الرِّدَاءِ يَوْمَهُ صَفٌّ الْقَنَا فَكَأَنَّهُ هُدَابُ

ومن التشبيهات التي وَرَدَتْ فِي الرِّدَاءِ قَوْلُ ابْنِ حِصْنِ الْأَشْبِيلِيِّ^(٤): [الطويل]

وَرَقَّتْ حَوَاشِي الدَّهْرِ حَتَّى كَانَتْ رِدَاءُ عَرُوسٍ بِالْعَيْرِ مُرْقَرُ

ومن عادة العروس عند زفافها لبس الملابس ذات الذيل الطويل^(٥) وقد تَلَبَّسُ
(الرداء المفضفض)^(٦) أو مصبوغاً بِالزَّعْفَرَانِ. يقول ابن صارة في
تشبيهه^(٧): [الخفيف]

أَنْظَرُ النِّهْرِ فِي رِدَاءِ عَرُوسٍ صَبِغَتْهُ بِزَعْفَرَانِ الْعَشِيِّ

ويظهر أن الشعراء قد وصفوا قراطق حبيباتهم ومحظياتهم وجواربهم وذكر
رينارت دوزي^(٨). بأن القُرْطُقَ لَيْسَ مَعْرُوفاً مُعْرَبٌ (كُرْتَه) ويعني ستره. ومصغر

(١) الكلل: جمع كلة وهي ستارة رقيقة تسدل على السرير. الجيوب: جمع جيب وهو طوق القميص.

(٢) الأسد بن إبراهيم بن بليطة، أبو القاسم: شاعر مجيد تردد على ملوك الطوائف ونال جوائزهم وتوفي سنة ٤٤٠هـ. انظر الذخيرة: م ٢ ق ١ ص ٧٩٠.

(٣) المطرب من أشعار أهل المغرب: ص ١٢٦.

(٤) ابن حصن الأشبيلي: هو أبو الحسن علي بن غالب بن حصن الأشبيلي نشأ في أشبيلية كان شاعراً مكثراً أجاد الوصف والفخر والمدح والغزل - ترجم له صاحب الذخيرة.

(٥) انظر قلاند العقيان: ص ١٢٣.

(٦) انظر المغرب في حلي المغرب: ج ٢ ص ٤١٢.

(٧) النفع: ج ٥ م ٣ ص ١٣٦.

(٨) المعجم المفصل: ص ٢٩٢.

كُرْتُكَ يُشِيرُ إِلَى قَمِيصٍ يَلْبِي الْجِسْمَ مَبَاشِرَةً وَهُوَ كَمَا يَصْلَانِ إِلَى الْمَرَقِّينِ . وَفِيهِ
يَقُولُ ابْنُ الْحَدَادِ (١) الْوَادِي أَشِي (ت ٤٨٠ هـ) : [الطويل]

وَحَشَوُ قَبَابِ الرَّقْمِ أَحْوَى مَقْرَطُ كَمَا أَسُ رَوْضِ عَطْفِهِ وَالْقِرَاطُ

وَكَمَا لَبَسْتَ السِّتْرَةَ . لَبَسْتَ النِّطَاقَ وَقَدَذَكَرَ الشَّاعِرُ نِطَاقَهَا الْقَصِيرَ كِنَايَةً عَنِ
خَصْرِهَا الْهَضِيمِ . يَقُولُ ابْنُ اللَّبَّانَةِ (٢) : [السريع]

وَاحْسِرَتَاهُ مَاذَا يَبْتَلِينَا بِهِ مِنْ كَامِلِ الذَّرْعِ قَصِيرِ النِّطَاقِ

وَلَبَسْتَ الْمَلَابِسَ مِنْ مَخْتَلَفِ الْأَلْوَانِ كَالْمَزْعَفِرِ (المصَّبوغِ بِالزَّعْفَرَانِ) (٣)
وَالْعَصْفَرِ (٤) ، كَقَوْلِ عَبْدِ الْجَلِيلِ بْنِ وَهْبُونَ (٥) الْمَتُوفِيِّ سَنَةَ (٤٨٨ هـ) . [الطويل]

خَلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ بَهَائِكَ خَلَّةً كَمَا عَصَفَرْتَ فَوْقَ الْعُرُوسِ جُيُوبُ

يَتَضَحُّ مِنَ الْأَشْعَارِ أَنَّ الْمَرْأَةَ لَبَسَتْ (الْمِرْطَ) . وَهُوَ مَلْحَفَةٌ يُوْتَّرُ بِهَا (٦) .
وَأَقْمِشَةُ الْمِرْطِ تَكُونُ مِنَ الْخَزِّ أَوْ الصَّوْفِ أَوْ الْكَتَّانِ وَهُوَ عَادَةٌ مَلَوْنٌ ، وَمِنْ أَلْوَانِهِ
السَّوَادُ وَالْخَضْرَاءُ (٧) . وَيَعْتَقَدُ دَوْزِي (أَنَّ كَلِمَةَ "مِرْطٌ" تَعْنِي نَوْعًا مِنَ التُّبَّانِ أَوْ
السُّرْوَالِ) (٨) . وَهُوَ مَا تُسَمِّيهِ الْيَوْمَ (تَتُورَةُ) وَيَشْمَلُ الْجِزَاءَ الْأَسْفَلَ مِنَ الْجِسْمِ .. وَقَدْ
قَالَ فِيهِ ابْنُ زَيْدُونَ (٩) : [الطويل]

(١) شعر ابن اللبانة : ص ٦٩ .

(٢) انظر الذخيرة : م ٢ ق ٣ ص ٦٣٢ . والنفع : ج ٥ م ٣ ص ٣٢ .

(٣) مختارات من الشعر الأندلسي : ص ١٣٧ . الرقم : نوع من النسيج والوشي .

(٤) أنظر ديوان ابن خفاجة : ص ٢٥٣ تحقيق مصطفى غازي .

(٥) انظر الذخيرة : م ١ ق ٢ ص ٥١٩ .

(٦) ابن سيده : المخصص - ج ١ - السفر الثالث - ص ٧٧ .

(٧) صبيحة رشيد رشدي : الملابس وتطورها في العهود الإسلامية : ص ٦٧ . ط - الأولى ،
ساعدت مؤسسة المعاهد الفنية على نشر هذا الكتاب .

(٨) المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب : ص ٣٢٦ - ٣٢٧ .

(٩) ديوان ابن زيدون : ص ٢٨٧ . تحقيق علي عبد العظيم

غريبُ فنونِ الحُسنِ يرتاحُ ذُرْعُهُ^(١) متى ضاقَ ذُرْعاً بالذي حازَهُ المرطُ

وكثيراً ما تطرقَ الشعراءُ إلى وشاحِ المرأةِ. والوشاح^(٢): مَنْطَقَةٌ عريضةٌ من الجلدِ مزركشٌ بالأحجارِ الكريمةِ تعقدهُ المرأةُ على خَصْرِها. والوشاحانِ قِلادتانِ تتوشحُ بهما. ترسلُ أحدهما على جنبها الأيمنِ والأخر على الأيسر^(٣).
وقد كرر الشعراءُ لفظةَ (ذاتِ الوشاحِ) في أشعارهم للدلالة على المرأةِ. ومثله قول ابن حمد يس^(٤): [السريع]

قُم حاكِها من كَفِّ ذاتِ الوشاحِ . وقد نعى اللّيلَ بشيرُ الصّباحِ
كما ذكر الشعراءُ الفعلَ من الوشاحِ، ومنهم ابن اللبّانة^(٥) قائلاً: [الكامل]

وتوشحتُ فكأنه في جَوْشِنٍ قد قامَ عبرُهُ مقامَ العشيرِ
والأندلسيةُ لبست ثوباً (مفرطاً في الشفافيةِ والخِفةِ) يدعى الغلالةَ. ويرى
دوزي (إن الغلالةَ كانت صفراءَ على الدوامِ في العهودِ القديمةِ)^(٦) وفيها يقول ابن
شهيد^(٧): [الطويل]

رُبِي نَسَجَتْ أَيْدِي الغَمَامِ لِلْبَيْسِها غِلاَئِلُ صَفْرَاءُ، فَوْقَ بِيضِ غِلاَئِلِ

-
- (١) درع المرأة : قميصها.
إن كلمة سروال مشتقة من الكلمة الفارسية شلوار وكانت مستعملة منذ العهود الإسلامية الأولى (المعجم المفصل) دوزي: ص ١٩٨-١٩٩.
(٢) المعجم المفصل: ص ٣٤٦. وانظر دراسات في الأدب الأندلسي : ص ١٦٨.
(٣) المصدر نفسه: ص ٣٤٧. وانظر اللسان مادة (وشح).
(٤) المطرب من أشعار أهل المغرب : ص ٥٤.
(٥) شعر ابن اللبّانة : ص ٥٤.
(٦) المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: ص ٢٦١. وقد علق دوزي على الغلالة بقوله إن (ابن اللبّانة) وهو يتحدث عن المعتمد (خرج من قصره عليه غلالة ترف على جسده) ويقصد (القميص). انظر المصدر نفسه: ص ٢٦٢.
والغلالة : ثوب رقيق يلبس تحته ثوب سميك . انظر الملابس العربية وتطورها في العهود الإسلامية : ص ٤٩.
(٧) ديوان ابن شهيد : ص ١٢٨ . تحقيق شارل بلا.

وربما لبست الملاءة والإزار. وعلى ما يبدو هناك نوع (مصنوع من الحرير وله أنواع متعددة . والشِقَتان اللَّتان تتألفُ منهما المِلاءَةُ مخيطنان معاً) (١). قال ابن زيدون (٢): [الكامل]

لغَشِيْتُ سَجَّكَ فِي مِلاءَةٍ نَثَرَهُ فَضَّلْ ، سَوَى أَنْ العِطَافَ نِجَادُ

ويقول ابن خفاجة (٣) في الملاءة والأزار: [الطويل]

أفَاضَتْ عَلَى عَطْفِ القُضيبِ مِلاءَةٌ ولَقَّتْ عَلَى ظَهْرِ الكَثِيبِ إِزاراً

ويرى ابن بسام (إنَّ الأزارَ ليس من لِبَسِ النِّساءِ، والإزارُ لهنَّ أخلَقُ وبهنَّ أفلَقُ وبهنَّ أليقُ) (٤). (وهو غطاءٌ واسعٌ تَلَفُ المرأةُ به جِسمَها كُلَّهُ) (٥)، وقد عرَفْتَه الأندلسية (٦). وعَطَّرْتَهُ وطَيَّبْتَهُ بالعُطُورِ (٧) والطيبِ. ولِبَسْتَهُ (٨). (وكانت تطوى المِلاءَةُ أَكثَرَ من طَيءٍ عند لِبْسِها) (٩).

ولبست المرأة الأندلسية الحرير على مختلف ألوانه وأشكاله. يقول أبو الحسن علي بن حصن الإشبيلي (١٠) في الحرير اللازوردي الأزرق: [مجزوء الكامل]

(١) انظر المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب : ص ٣٣١.

(٢) ديوان ابن زيدون : ص ٤٥١.

* السَّجْفُ والسَّجْفُ والعِطَافُ: السِّتْرُ أو السِّتْرانِ المَقْرُونانِ وبينهما فرجة. والعِلاءُ: ثوب لَتَيْنِ رقيق من قطعة واحدة. النَثْرَةُ: الدرع الواسعة . العِطَافُ : الرداء أو السيف. انظر هامش المصدر نفسه.

(٣) ديوان ابن خفاجة : ص ٢٢٢ . وانظر صبيحة رشيد : الملابس العربية ص ٥٣.

(٤) انظر الذخيرة : م ١ ق ٣ ص ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٥) المعجم المفصل : ص ٣٨.

(٦) المغرب في حلى المغرب: ج ٢ ص ٤١٧ - ٤١٨.

(٧) انظر قلاند العقيان: ص ١٢٥.

(٨) الذخيرة : م ٢ ق ٣ ص ٥٩٢.

(٩) المصدر نفسه: م ٢ ق ٣ ص ٦٦٢.

(١٠) جذوة المقتبس : ص ١٨٤.

لَمَّا بَدَأَ فِي^(١) لَازُورِ دِي الْحَرِيرِ وَقَدْ بَهَرَ
كَبُرْتُ مِنْ فَرَطِ الْجَمَا لَ وَقُلْتُ مَا هَذَا بِشَرِّ
فَأَجَابَنِي لَا تَتَكُورَنَّ ثُوبَ السَّمَاءِ عَلَى الْقَمَرِ

ويقول الرمادي^(٢) في الثوب الأزرق الذي فاق الثوب العراقي في توهجه:
[مخلع البسيط]

يَا ثُوبَةَ الْأَزْرَقِ الَّذِي فَذَّ فَاقَ الْعِرَاقِيَّ فِي السَّنَاءِ

ويظهر أن المرأة الأندلسية لبست الإيتب^(٣). ويقصد بالإيتب كافة الملابس القصيرة التي لا تصل إلى أكثر من منتصف السيقان، والإيتب يعني - أيضاً - نوعاً من السراويل القصيرة. السروال الذي لا فتحة فيه لدخول السيقان. أو أنه قميص لا كم له. قال ابن حمد يس^(٤) يصف امرأة ميسورة لبست الإيتب: [الطويل]

يَكَادُ وَلِيدُ الذَّرِّ يَجْرَحُ جِسْمَهَا إِذَا صَافَحَتْ مِنْهَا أَنَامِلُهُ الْإِتْبَا

وربما عرّفت الصدر. (وهو الثوب الذي يبلغ الصدر)^(٥) أو (ما تلبسه المرأة على صدرها)^(٦). ومما جاء في ذكر الصدر قول ابن خفاجة^(٧): [الطويل]

يُزْرُّ عَلَيْهَا الصُّبْحُ جَيْبَ قَمِيصِهِ وَقَدْ لَبَسَ الْجَوْ الظَّلَامَ صِدَارًا

(١) سمي ابن بعام (اللازوردي) بالحرير الخسرواني، والخسرواني: الحرير الرقيق الحسن في الصنعة. منسوب إلى خسرو أحد ملوك الأكاسرة. انظر المطرب: ص ١٩٥.

(٢) شعر يوسف بن هارون: ص ٥١.

(٣) انظر المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: ص ٢٨ - ٢٩.

(٤) يدوان ابن حمد يس: ص ٥٠.

(٥) المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: ص ٢٠٥.

(٦) المرأة في الشعر الجاهلي: ص ٦٣.

(٧) الذخيرة: م ٢ ق ٣ ص ٥٨٣.

ومثلما لبست الصدارة لبست الزنار لزيادة أناقتها. والزنار (حزام). يقول رينهارت دوزي (إن هذه الكلمة كانت تشير في إسبانيا إلى مئزر غليظ يلبسه الفلاحون) ^(١) وربما تغزل أبو الصلت أمية بلاسته الغلامية فقال ^(٢): [السريع]

وعاقد في الخضر زنارا أضرم في أحشائي النارا

وكانت تلبس الثياب ذات الألوان الجذابة المصنوعة من نسيج مزخرف بالنقوش البديعة وقد طُرزت حواشيها بالذهب الوهاج المتلألئ ^(٣). أيام أنسها وفرحها. أما أيام أحزانها وأفراحها فقد كانت تكتفي باللون الأبيض. خاصة إذا حزنت على الموتى. ويبدو أنها عادة متبعة في الأندلس وبذلك خالفن المشرقيات في لبسهن السواد أيام أحزانهن ^(٤). يقول الحصري ^(٥) الكفيف المتوفى سنة (٤٨٨ هـ). [الواقر]

لئن كانَ البياضُ لباسَ حزنٍ بأندلسٍ فذاك من الصَّوابِ
ألم تَرَيَّ لبستَ بياضَ شيبِي لأنِّي قد حزنتُ على الشَّبابِ

وقد شاع تطريز الكتابة على الملابس ككتابة الفاظ من الآيات ^(٦) القرآنية والأبيات الشعرية. ولم تقتصر الكتابة على ملابس النساء بل شملت ملابس الرجال. يقول ابن عمار ^(٧) المتوفى (٤٧٧ هـ): [الطويل]

(١) المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: ص ١٦٢.

(٢) ديوان الحكيم أبي الصلت أمية: ص ١١٩.

(٣) ديوان ابن زيدون: ص ٢٠٦.

(٤) الذخيرة: ق ١ م ٢ ص ٩١٤. وانظر المصدر نفسه: م ١ ق ١ ص ٩١٣. والنفح جـ ٤ م ٢ ص ٤٠٤.

(٥) رايات المبرزين وغايات المميزين: ص ١٤٣. وانظر المطرب: ص ٨١.

(٦) انظر ديوان التطيلي: ص ٢٦٨.

(٧) قلاند العقيان: ص ٨٧.

تَحَلَّتْ مِنْ السِّيفِ الْخَضِيبِ بِصَفْحَةٍ وَقَامَتْ مِنَ الرَّمَحِ الطَّوِيلِ عَلَى قَدِّ
وَدُونَكهَا مِنْ نَسِجِ فِكْرِي حَلَّةً مُطَرَّرَةً الْعَطْفِينَ بِالشُّكْرِ وَالْحَمْدِ

ومنهن من طَرَزَتْ بِاسْلَاقٍ مِنَ الذَّهَبِ مَلَاسِيهَا. قَدِ كَتَبَتْ لِوَادَةِ بِنْتِ
المسْتَكْفَى عَلَى عَاتِقِي ثَوْبَهَا وَطَرَزَتْهُ بِالذَّهَبِ الْخَالِصِ. وَقَدِ كَتَبَتْ عَلَى الطَّرَازِ
الْأَيْمَنِ: [الوافر]

أَنَا وَابْنُ اللَّهِ أَصْلَحُ لِلْمَعَالِي وَأَمْشِي مِشِيَّتِي وَأَتِيَةُ تَيْهًا (١)

وَكَتَبَتْ عَلَى الطَّرَازِ الْأَيْسَرِ: [الوافر]

وَأَمَكَّنُ عَاشِقِي مِنْ صَحْنِ خَدِي وَأَعْطِي قُبْلَتِي مِنْ يَشْتَهِيهَا

وَقَدِ رَفَلَتْ الْمَرْأَةُ بِالْحَبْرَةِ وَتَبَخَّرَتْ بِهَا. (وَالْحَبْرَةُ) (٢) رِدَاءٌ وَاسِعٌ مُخَطَّطٌ
مَوْشَاةٌ مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ . وَرَبِمَا لَبَسَتْهُ الْقِيَانُ (٣) وَنَجْدُ بْنُ زَيْدُونَ قَدْ تَغَزَلَ بِالكَّاعِبِ
الْحَسَنَاءِ الَّتِي لَبَسَتْ الْحَبْرَةَ قَائِلًا (٤): [البسيط]

مِنْ كُلِّ مُخْتَالَةٍ بِالْحَبْرِ رَافِلَةٌ فِيهِ اخْتِيَالُ الْكِعَابِ الرُّؤْدِ بِالْحَبْرِ (٥)

وَيَبْدُو أَنَّهَا لَبَسَتْ الْمِعْطَفَ أَيْضًا. وَفِيهِ يَقُولُ أَبُو بَكْرٍ (٦) الدَّانِي

(ت ٥٠٧هـ): [السريع]

غِيْدَاءُ جِيْدَاءٍ لَهَا مِعْطَفٌ يُرْفَلُ مِنْ دِيْبَاجَةٍ فِي اتِّشَاحٍ

(١) الذخيرة: ق ١/١ ص ٤٢٩ - ٤٣٠. النفع: ج ٥ ص ٣ ص ٣٣٦.

(٢) المعجم المفصل بأسماء الملابس: ص ١١٠-١١١. وانظر المخصص: ص ٦٧ السفر الثالث.

(٣) الذخيرة: م ١ ق ٤ ص ٧٥-٧٦. البيان المغرب: ج ٣ ص ١٤١.

(٤) ديوان ابن زيدون: ص ٢٠٦ تحقيق علي عبد العظيم.

(٥) الحبر: البهاء والحسن. الرؤد: الشابه الحسنة. الحبرُ أو الحبرة: مَوْشَاةٌ مِنْ بُرُودِ الْيَمَنِ، انظر المخصص/ السفر الثالث ص ٦٧.

(٦) الذخيرة: م ٢ ق ٣ ص ٧٠١. المعطف: بمعنى الكساء انظر معجم دوزي: ص ٣١١.

ولا يَغْرَبُ عنِ بَالِنَا مَا لِلخِمَارِ منِ إِغْرَاءٍ يَضْفِي على المَرَأةِ بهَاءً وَيَلْفَتُ إِلَيْهَا
الأنظار . والخمار: (برقع يتعلق بقمة الرأس ويُعْطِي مقدمة العنق ويستر الذقن والقم)
(^١) وهو نوع من الحجاب (^٢).

وقد أسماه دوزي (المعقب) (^٣) . ومما جاء في الخمار الملون قول أبي الفضل
عبد الواحد الدارمي الوزير (^٤): [مجزوء الرمل]

قلت للملقى على الخدين من ورد خمارا

وقول ابن اللبانة (^٥) وقد أضاف الخمار جمالاً إضافياً للحساء: [الكامل]

حسنت أمامي من خمار مثل ما حسن الكمي أمامة في مغفر

والعروس عند زفافها كانت تلبس خماراً معطراً . وهذه العادة مشرقية، ظلت
آثارها لحد الآن . حيث تلبس العروس ما يسمى بـ (الطرحة) أو (البرقع) . يقول ابن
اللبانة (^٦): [الطويل]

يزف إلى الأعداء من حومة الوغي عروس خمار عطرها عطر منشم

وكانت نساء اليونان يستعملن الخمار إذا خرجن، ويخفين وجوههن بطرف
منه (^٧) . واستعملته في القرون الوسطى . واستمرن إلى القرن الثالث عشر الميلادي
فصار نسيجاً خفيفاً يستعمل لجمامية الوجه من التراب والبرد . ولكن بقي في إسبانيا
وفي بلاد أمريكا . ومما يلاحظ على الشعراء كثرة غزلهم بحجاب المرأة وبرقعها

(١) المصدر نفسه : ص ١٤٠ .

(٢) الملابس العربية: ص ٤٣ .

(٣) المعجم المفصل بأسماء الملابس : ص ٢٤٨ .

(٤) الذخيرة : م ١ ق ٤ ص ٧٥ - ٧٦ .

(٥) شعر ابن اللبانة: ص ٥٤ .

(٦) شعر ابن اللبانة : ص ٩٧ .

(٧) قاسم أمين : تحرير المرأة ص ٧٩ . عن (لاروس) .

ونقابها يقول ابن جاج^(١) البطليوسي الصباغ المتوفى بعد سنة (٤٨٠هـ) في المرأة ذات البرقع الذهبي: [المتقارب]

رأيت^(٢) الهوادج فيها البذور عليها البراقع من عسجد
وتحت البراقع مقلوبها تدب على ورد خدي

والنقاب: (أن تَعَمَدَ المرأةُ إلى بُرْقَعٍ فَتَنْقَبَ مِنْهُ مَوْضِعَ الْعَيْنِ)^(٣). ويخبرنا الرحالة الأندلسي ابن جبير أن النساء الصقليّات: (انْتَقَبْنَ بِالنَّقَبِ الْمُلَوَّنَةِ)^(٤). ويقول ابن زيدون^(٥) في الحسناء المُنْتَقِبَةِ: [الوافر]

رأيت الشمس تطلع من نقاب وغصن البان يرقل في وشاح

وقوله وقد تغزل بالحبية^(٦) المُنْتَقِبَةِ: [المجتث]

ما البدر، شَفَّ سَنَاهُ على رقيق السحاب
إلا كوجهك لَمَّا أضواء تحت النّقاب

ويظهر أن قسماً منهن قد تَلَثَّمْنَ^(٧). واللثام نوع من الحجاب أيضاً. وكان يحجب من النساء الجزء الأسفل من الوجه كما يُغطي الجزء نفسه من الرجال^(٨).. وقد تغزل المعتمد بن عباد^(٩) قائلاً: [الطويل]

(١) ابن جاج البطليوس الصباغ: كان شاعراً محسناً، ولعلَّ جهله القراءة والكتابة قد ترك شعرة بريئاً من التكلف. ولم تقع وفاته قبل (٤٨٠هـ).

(٢) رايات المرزبن وغايات المميزين: ص ٦٠.

(٣) انظر المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: ص ٣٤٢.

(٤) المصدر نفسه: ص ٣٤٤.

(٥) ديوان ابن زيدون: ص ١٤٩. تحقيق علي عبد العظيم.

(٦) المصدر نفسه: ص ٥٨.

(٧) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج ٩ ص ٦٢٣، دار صادر، ط. بيروت ١٩٦٩.

(٨) المعجم المفصل بأسماء الملابس عند العرب: ص ٣٢٣.

(٩) أ.ر. نيكل: الشعر الأندلسي: ص ٨٢.

فَقَبِلْتُ مَا تَحْتَ اللَّثَامِ مِنَ اللَّمَى

وعانقت ما فوق الوشاح من العقد

هذا ولم تكتفِ المرأةُ بزركشةِ ملابسها، بل راحت تتركش نعلها وقباقبها (بأصداف اللؤلؤِ والفضة) ^(١). ويقال إن القبقاب كان شائع الاستعمال في أسبانيا ذلك لأن (بيدور دي الكالا) ترجم كلمة (Gano de palo) بكلمة قُبْقَاب ^(٢) .. ولكننا نؤكد بأن الأندلسية، حرصت على جمالها وزيادة أناقتها.. باستعمالها القبقاب لإطالة قامتها. أو لتفادي تجرير أذيال ثوبها الموشى على الأرض وحاشيته المرصرفة المشغولة بأنواع التطريز .. فجاءت صورة واضحة للمرأة الأنيقة. وإنما نلاحظ هذا الصراع الفكري بين القيم حتى في الملابس فهي متأثرة وربما مُقلدة للمرأة العباسية ^(٣) في ملابسها وتزينها. المرأة التي عاشت في بغداد العصر الذهبي. فجاءت أناقتها وضاءة بما لبسته من ثمين الخز و رقيق الحرير، ببهيج ألوانه وجميل رسومه وأشكاله ، إلا أن الأندلسية بدت أكثر تفنناً وأناقة منها.

(٣) الحلي :-

لم تكتفِ المرأةُ بسلحتها الذي حملته من الجمال الطبيعي وثقافتها التي أرقت بها، فراحت تتقلد الحلي لتزداد جمالاً. ولما بدت عاطلة عنها. وقد إفتخرت العذراء بلبسها ^(٤) . وصور الشعراء أنواعها والمادة المستعملة منها ^(٥) ومواضع استعمالها. فراها لبست الأقراط ^(٦) والشنوف ^(٧) في الأذن. والتيجان ذات الطوابق المرصعة

(١) المعجم المفصل: ص ٢٩٢.

(٢) المعجم المفصل بأسماء الملابس: ص ٢٨١.

(٣) د. واجدة مجيد: المرأة في أدب العصر العباسي : ص ٢٣٨.

(٤) نفخ الطيب : ج ٦ م ٣ ص ٢٤.

(٥) الروض المعطار في خبر الاقطار: ص ٤٨٥ - وانظر البديع في وصف الربيع: ص ٣٢.

(٦) الذخيرة : ٢م ق ١ ص ١٤٧ . وانظر المصدر نفسه: م ١ ق ٢ ص ١١١.

(٧) المصدر نفسه : م ١ ص ٢ ، ص ١٤٩ - ١٥٠.

باللآلئ^(١) بالرأس. والعقد^(٢)، والقلائد^(٣)، والمخانق^(٤) بالجميل. وفي المعصم الوقف والأساور^(٥). والدمليج في العضد^(٦). والخواتم في الأصابع^(٧).

والمناطق والوشاح في الخصر^(٨). وفي الساق الخلاخل والحجول^(٩) كما أشارت الأشعار أنها صنعت من الذهب والفضة وطعمت باللؤلؤ والمرجان والياقوت الأحمر والدرّ والزرجد، والزمرد الأخضر، والعقيق. ولا نستغرب الأمر إذا علمنا أن الأندلس (صينية في جواهر معادنها)^(١٠). (وذكرت لنا الأشعار صوراً جميلة للياقوت المستعمل في الحلّي المنضد بطريقة لطيفة فوق قضيب الزمرد)^(١١). وقد تفننوا في صياغتها وفي نقش الرسوم والفصوص على الخواتم^(١٢). وقد أشار ابن خفاجة إلى خاتم ذي فص سماوي^(١٣)، كما أشار إلى خواتم صيغت على شكل نجم وهلال^(١٤)، وأشار إلى الصياغة نفسها المعتمد بن عباد. وقد أشار التطيلي أيضاً قائلاً^(١٥): [الطويل]

-
- (١) النخح : جـ ٤ م ٢ ص ٣٦٩.
 - (٢) الذخيرة: م ١ ق ٢ ص ٣٢٣، وانظر المغرب: ج ٢ ص ٣٩٦.
 - (٣) ديوان ابن حمد يس : ص ٢٨٢.
 - (٤) الذخيرة : ق ٢ م ١ ص ١٨٠ (حلي من القلائد العقود . تكون ضيقة تحيط بالرقبة).
 - (٥) ديوان ابن حمد يس : ص ٢٩٨.
 - (٦) شعر ابن خفاجة: كرم البستاني ص ٧٨.
 - (٧) جنوة المقتبس: ص ١٣٤ . والذخيرة: م ٢ ق ٢ ص ٨٢٦.
 - (٨) الذخيرة : م ٢ ق ١ ص ٧٦٣.
 - (٩) ديوان ابن زيدون : ص ١٧٥.
 - (١٠) تاريخ النقد الأدبي في الأندلس: ص ١٣.
 - (١١) أشبيلية في القرن الخامس الهجري : ص ١٣٩ - شعر ابن عباد أبو القاسم.
 - (١٢) النخح: ج ٦ م ٣ ص ٣٣٠. وانظر الذخيرة: م ٢ ق ٣ ص ٦٢٧.
 - (١٣) ديوان ابن خفاجة: ص ١٤٩ تحقيق مصطفى غازي .
 - (١٤) المصدر نفسه : ص ١٤٨.
 - (١٥) الذخيرة : ق ٣ م ٢ ص ٨٧٩.

أديرُ كدورِ البدرِ ثم لَبِسْتُهُ قَلَمَ تَرَ مِنْهُ العَيْنُ غَيْرَ هِلَالِ

واستعملُ (السَّبِيحُ) (١) في فُصُوصِ الخَوَاتِمِ واليَاقُوتِ الأحمرِ . والدرِ (٢)
والذَّهَبِ الخالصِ . قال أبِن شَهِيدٍ (٣): [مجزوء الكَاملِ]

وتمايَلتْ أيدِي الثَّرِّ يا وَهِي مَذْهَبَةُ الخَوَاتِمِ

وقال (٤) أحمد بن محمد أبو حفص الكاتب المتوفى (٤٤٠هـ): [الطويل]

مَدَاهُنْ تَبَرِ فِي أَنَامِلِ فِضَّةٍ عَلَى أذْرَعِ مَخْرُوطَةٍ مِنْ زَبَرَجَدِ
وقد أشارَ إلى الأَساورِ التي يُسْتَحْسَنُ صُمُوتُها في المَعاصِمِ، قولُ ابنِ حمدِ
يس (٥): [الطويل]

وثابَتَةُ الوَقِينِ جِوَالَةُ القُرْطِ أَصْنَبْتُ رَشادِي فِي هِوَاهِا وَلَمْ أُخْطِي

يقول الآخر (٦): [الطويل]

يُعَذِّبُها عَضَى السِوارِ بِمَعْصَمِ أبا نَ لها أن النعيمَ عذابُ

وقد لَبَسَ الأَقْرَاطُ المَصنُوعَةَ مِنَ اللَّلالِيءِ . واستَحْسِنَ القُرْطُ فِي أذانِهنِ . إذا
كان ناطِقاً جائلاً (٧) . يقول عبد الجليل (٨) بن وهبون (ابن هند الداني المتوفى
(ت ٤٨٣هـ): [الطويل]

من اللَّلالِيءِ لا الأَقْرَاطِ يَرْضِيَنَّ زِينَةً لَهِنَّ وَيُسْتَحْسِنَنَّ لَبَسَ القَرِاطِقِ

(١) السَّبِيحُ : خرز أسود .

(٢) جذوة المقتبس : ص ١٣٤ .

(٣) الذخيرة : م ٢ ق ٢ ص ٨٢٦ .

(٤) الذخيرة : ق ١ م ٣ ص ١٨٣ - ١٨٤ .

(٥) ديوان ابن حمد يس : ص ٢٩٨ . الوقف : السوار .

(٦) ديوان ابن زيدون : ص ٦٢ .

(٧) ديوان ابن خفاجة : ص ١٦٧ . وانظر الذخيرة : م ٢ ق ٢ ص ٨١٨ .

(٨) الذخيرة : م ٢ ق ٢ ص ٨١٨ .

وقول ابن الأبار^(١) المتوفى (٤٣٣هـ): [الطويل]

مَقْرَطُقٌ يَبْسُمُ عَنْ لَوْلُؤٍ رَصَعَةُ الْحَسَنِ بِمَرْجَانِ

وقال ابن حصن^(٢) الأسييلي واصفاً الأفراط ذات السلاسل: [مجثث]

عَلَيَّ أَنْ أَتَى ذَلَّ لَـهُ وَأَنْ يَنْـذَلَّ
خَدُّ كَأَنَّ الثُّرَيَّا عَلَيْهِ قُرْطٌ مُسْأَسَلٌ

ولم يقتصر لبس التاج على الملوك^(٣) بل عرفته المرأة ولبسته^(٤) في الأفراح.

والمناسبات. وزينت به رأسها. لذا تكرر ذكره عند الشعراء، وإليه أشار ابن

زيدون^(٥) كما أشار إلى لبس الوشاح^(٦): [الطويل]

عَلَى خَصْرِهَا فِيهِ وَشَاحٌ مَفْصَلٌ وَفِي رَأْسِهَا تَاجٌ وَفِي جِيدِهَا سِمَطٌ

وقال المنفلت^(٧) في ذكر الوشاح: [الطويل]

كَأَنَّ الثُّرَيَّا مَا بَدَأَ مِنْ وَشَاحِهَا وَقَدْ هَمَّتِ الْأُرْدَافُ أَنْ تَسْلَمَ الْخَصْرَا

والضرب الآخر من الحلبي الذي أكثر التشبيهات حوله الشعراء^(٨) هو العقد

والقلائد المصنوعة من الدر واللؤلؤ.

وقد صور لنا ابن حمد يس^(٩) مكانة القلائد في عنق الحسناء قائلاً: [الطويل]

(١) المصدر نفسه : م ١ ق ٢ ص ١١١.

(٢) المصدر نفسه م ١ ق ٢ ص ١٥٨.

(٣) الروض المعطار: ص ٣٩٣.

(٤) النخيرة : م ١ ج ٢ ص ٣٠٩ - ٣١٨ . وانظر النفع : ج ٤ م ٢ ص ٣٦٩.

(٥) ديوان ابن زيدون : ص ١٧ ، كامل وخليفة.

(٦) الوشاح: وهو كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينهما، معطوف أحدهما على الآخر . تشده المرأة بين عاتقَيْهَا، وكشحها. (المخصص ج ٤ ص ٩٨).

(٧) النخيرة : م ٢ ق ١ ص ٧٦٣ . والمغرب في حلبي المغرب: ج ٢ ص ٣٣٢.

(٨) الروض المعطار: ص ٣٤٣ . وانظر ديوان التطيلي: ص ٧٢.

(٩) ديوان ابن حمد يس : ص ٢٨٢.

إذا أقبلت كانت بتقديم خلقها ومشيئها بالشمس^(١) تستوقف الشمساً

ويبدو أن العقدُ يزدادُ ثمنه إذا لبسته الحسناءُ . كما قيل (وفي عنقِ الحسناءِ
يُسْتَحَسَنُ العِقْدُ)^(٢) أو قول ابن سعيد (تَخْلِي العِقْدُ عن عُنُقِ الحسناءِ)^(٣) . إذا عَطَلت
عنه .

ومن تشبيهات العقد المصنوع من الجمان قول ابن زيدون^(٤): [الطويل]

وتُذَكِرُنِي العِقْدَ المِرْنَ جِمانُهُ مِرْنَاتُ وِرْقٍ في ذُرَا الأيْكِ تَهْتِفُ
والعقود قد تكون ضيقة ، تحيط بالرقبة وتسمي (بالمخائق)^(٥) ، وإليه أشار أبو
الحسن الأشبيلي^(٦): [الطويل]

ومشتاقَةٌ عِذْرَاءٌ شُدَّ خِناقُها ولم أرَ عِذْرَاءً مِثْلَها كَيْفَ تَخْنُقُ
عليها من إسم الملكِ عِقْدٌ مَنْظَمٌ ومن خاتِمِ المَلِكِ الِيمانِي بَخْنُقُ

وربما تزينت المرأة بـ (السخاب) .. فقد أشار إليها ابن زيدون^(٧)

يقوله: [الطويل]

(١) الشمس : ضرب من القلائد .

(٢) الذخيرة : م ١ ق ٣ ص ٣٩٦ .

(٣) المغرب في حلي المغرب : ج ٢ ص ٣٩٦ .

* المنقل : أبو أحمد عبد العزيز بن خيرة القرطبي . المشتهرة معرفته بالمنقل . وهو علم من
أعلام شعراء البيرة في مدة ملوك الطوائف . ومن شعراء الذخيرة انظر المصدر نفسه : م ٢
ق ١ ص ٧٥٤ .

(٤) ديوان ابن زيدون : ص ٢٦ . كامل وخليفة وورد فيها : وتذكرني أما في الذخيرة : م ١ ق ١
ص ٣٧٦ (ويذكرني) .

المرن : اسم فاعل من الأرنان . وهو الصوت الحزين ، والجعان : حَبٌّ يتخذ من صغار اللؤلؤ ، أو
من الفضة أمثال اللؤلؤ .

(٥) المرأة في الأدب العباسي : ص ٢٦٢ .

(٦) الذخيرة : ق ٢ م ١ ص ١٨٠ .

(٧) ديوان ابن زيدون : ص ٣٨٦ .

وَأُنَجِدُنِي عِلْمٌ تَوَالَتْ فُنُونُهُ كَمَا يَتَوَالَى فِي النَّظَامِ سِخَابٌ

وَالسِّخَابُ : قِلَادَةٌ مِنْ سِكِّ^(١) وَقُرْنَفَلٌ وَمَحَلِبٌ بِلَا جَوْهَرٍ . وَمِثْلَمَا عَرَفْتُ
السِّخَابَ لَيْسَتْ التَّعَاوِيزُ وَالتَّمَائِمُ . (وَكَانَ يُحْمَلُ لِدَفْعِ مَكْرُوهِهِ أَوْ كَسْبِ مَرْغُوبِهِ أَوْ
اسْتِجْلَابِ خَيْرٍ)^(٢) . قَالَ ابْنُ زَيْدُونَ : [البسيط]

غَرِيرَةٌ - لَمْ تَفَارِقْهَا تَمَائِمُهَا تَسْبِي الْعُقُولِ بِسَاجِي الطَّرْفِ وَسِنَانِ^(٣)
وَلَمْ تَقْتَصِرِ الْحَسَنَاءُ عَلَى لِبْسِ الْأَقْرَاطِ بَلْ لَيْسَتْ الْمَشْنُوفَ أَيْضًا ، وَإِلَيْهَا أَشَارَ
الشَّاعِرُ^(٤) : [المتقارب]

وَحَفَّ بِقَلْبِي فِيهِ الْهَوَى وَلَا عَابَ ، قُرْطَانَةٌ ، شَنْفَهُ
وَلَا حِظْنَا أَنْ مَعْيَارَ جَمَالِ السَّاقِ يَتَوَقَّفُ عَلَى خُرْسِ خُلْخَالِهِ حَيْثُ (أَنْ حَلِيَّةُ
الذَّرَاعِ وَالسَّاقِ تَوْصَفُ بِالصَّمْتِ)^(٥) . وَقَدْ سَعَّدَتِ الْأَنْدَلُسِيَّةُ بَلِيْسَهُ وَإِلَيْهِ أَشَارَ ابْنُ
عِمَارٍ^(٦) : [الوافر]

تَشِيرُ إِلَيَّ قُرْطَاهُ وَتَصْغِي خَلَاخُلُهُ إِلَى نَعْمِ الْوَشَاحِ
وَمِثْلَهُ قَوْلُ عِبَادَةَ بْنِ^(٧) مَاءِ السَّمَاءِ الْمَتَوَفَى (٤٢٢هـ) : [المنسرح]
وَلَيْلَةٌ لِلسَّرُورِ كَانَ لَهَا بِحَسَنِ سَاقٍ كَحَسَنِ خُلْخَالِ
وَمِثْلَهُ قَوْلُ الْآخِرِ^(٨) : [الطويل]

-
- (١) السِّكُّ : مادة من الطيب تطبخ مع المسك وتحفف في هيئة حبوب تنقب وتتخذ منها القلائد ، وهي طيبة الريح وكلما قدم عهدا زادت طيبا . انظر هامش المصدر السابق .
(٢) على الهاشمي : المرأة في الشعر الجاهلي : ص ٨٣ .
(٣) ديوان ابن زيدون : ص ٢٦٧ تحقيق كامل كيلاني . ومحمود خليفة .
(٤) كرم البستاني : شعر ابن خفاجة : ص ٩٦ .
الشفن : ما علق في أعلى الأذن من الحلبي . انظر المخصص ج ١ من السفر الأول ص ٤٣ .
(٥) ديوان ابن خفاجة : ص ١٦٧ . مصطفى غازي .
(٦) الضبي : بغية الملتمس : ص ١٠٢ - ١٠٣ .
(٧) النخيرة : ق ١ م ١ ص ٤٦٩ .
(٨) المصدر نفسه : ق ٢ م ١ ص ٥٤٩ .

وكيف استطعت السير حجلك مفعم

ورد فك رجراج وحليتك قادخ

وقد لبست الحسناء الدمالج والأساور وفيها يقول ابن خفاجة^(١): [الطويل]

إذا شئت غنائِي وشاخَ وحليّة

لحسناء ، غصت دملجاً وسوارا

ووجدنا من بين الشعراء مَنْ ذمَّ حاليّة عاطلة الخلق^(٢): [المنسرح]

ألا بكى الدر فوقَ حاليّة حلى بها العقد شرّاً ما حلى
ترى بها ما يمرُّ من خلق مُخبأً تحتَ منظرٍ يحلى
قد راقَ مرآى وساءَ مختبراً فهل ترى ازهدت بها ذفلى

وهكذا وجدنا الأندلسية تقلدت وعرفت صنوفاً مختلفة من الحلي والجواهر.
إلا أن الأخلاق تبقى أنفَسَ حلية للمرأة.

(٤) الكحل :-

حرصت الأندلسية على جمال عينيها . لما لهما من تأثير فاعل في قلب
الرجل، ولما كان الكحل يزيد سحراً . نراها أتقنت استعماله بطريقة أسهت
ناظرها . يقول أبو عبد الله بن السراج المالقي^(٣): [الخفيف]

كحلت بالسهادِ والدُمعِ طرفي يوم أبصرتُها بطرفِ كحيل

ويقول الآخر^(٤): [الكامل]

(١) شعر ابن خفاجة : ص ٧٨ .

(٢) ديوان ابن خفاجة: ص ٣٣٥ .

(٣) المالقي : من أدياء القرن الخامس الهجري ذكره ابن بسام وقال : مُحسنٌ في أهلِ عصره ،

معدود ، وشاعر بني حمود . وله فيهم قصائد ، انظر الذخيرة : م ٢ ق ١ ص ٨٧٠ - ٨٧١ .

(٤) ديوان ابن حمد يس : انظر ذيل الديوان : ص ٥٥٨ .

زانتُ على كحلِ العيونِ تكحلاً
ويسمُ نصلُ السَّهمِ وهو قَتولُ
ويبدو أن للكحل فائدة في تقوية البصر يؤكدُها ابنُ حمد يس^(١) في
قوله: [البسيط]

كحلتُ عيني إذ كَلَّتْ بجوهرِ
أما يحدُّ بِكحلِ الجَوهْرِ البَصْرُ؟
لذا رَسَمْتُهُ العروسُ بطريقتي يَضْرِبُ بها المثلُ . يقولُ منذرُ بنُ يحيى^(٢)
التَّجيبِي : [المتقارب]

رَمَادٌ ونُودِي كَحَلِ العروسِ
ورسمٌ ، كجسمِ براهِ الهوى
واستعملته عند زفافها^(٣) .. فَظَهَرَتْ عيونُها أشبه بعيونِ المها.. وكما ورد
على لسان ابنِ حمد يس قوله^(٤): [الكامل]

في خَلَقِها الأَنْسِي من وَحْشِيَّةٍ
كحلٌ وحسنٌ تَلَفَّتِ ونِفَارِ
أو قول السُّمَيْسِرِ^(٥): [البسيط]
وكحلُ عيني سِحْرٌ للنهي وكذا
والسحرُ أحسنُ ما يُعْزَى إلى الحَدَقِ
وقد وردت تشبيهات كثيرة حول الكحل يقول التطيلي^(٦): [السريع]

-
- (١) المصدر نفسه : ص ٢٠٣ .
(٢) الذخيرة : م ٢ ق ٢ ص ٧٨٨ . منذر بن يحيى التجيبي صاحب سُرْقِسْطَةَ المتوفى سنة ٤٣٠ هـ .
(٣) انظر المغرب من حلي المغرب : ج ٢ ص ١٧٢ .
(٤) ديوان بن حمد يس : ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .
(٥) النفع : ج ٤ م ٢ ص ٢٧٠ . والسَّمَيْسِر : أبو القاسم خلف بن فرج الألبيري المعروف بلقبه
السَّمَيْسِر بقي بالمرية إلى ما بعد وفاة المتعصم بن صمادح سنة (٤٨٤ هـ) . انظر الذخيرة :
ق ١ م ٢ ص ٨٨٢ - ٨٨٤ .
لقد ورد البيت في النفع ج ٤ م ٢ ص ٢١٢ لأبي أيوب سليمان بن بطلال البطلبيوسي .
(٦) ديوان الأعمى التطيلي : ص ١٣٦ .

وسنانُ ناهيك بأجفانه على الهوى من شاهدي عدل
سالت على أحاظه كحلّة واخجلتي من خجلة الكحل

ومثله قول الشاعر الحكيم أمية بن عبد العزيز^(١): [الكامل]

لا تسألني عن صنيع جفونها يوم الوداع وسل من نجا
وبثت في الظلماء كحل جفونها وعقدت هاتيك الذوائب بالدجا

وأستعملت المرأة الأندلسية الكحل بألوانه المختلفة. فالكحل الأسود كما ذكر الحميدي (مكانة بالأندلس بالقرب من وادي آش وبها جبل يعرف بجبل الكحل لا يزال ينثر منه كحل أسود يزيد بزيادة القمر وينقص بنقصانه لم يزل على ذلك من قديم الدهر)^(٢).

وربما استعملت الكحل الأزرق^(٣). وفيه قال ابن حمد يس: [المتقارب]

بأزرق في أسمر لم يزل دمّ الذمّر كالكحل في زرقته

وقد ذكر الحصري^(٤) استعمال المرأة للأتمد قائلاً: [مجزوء الكامل]

يا من تكحل طرقها بالسحر لا بالأتمد

(١) ديوان الحكيم : ص ٧٠.

(٢) الروض المعطار في خبر الأقطار : ص ١١٣.

(٣) ديوان ابن حمد يس : ص ٧١.

(٤) الذخيرة: م ١ ق ٤ ص ٢٥٩.

أبو الحسن علي بن عبد الغني القيرواني الضرير الحصري: ولد في القيروان سنة ٤٢٠هـ. قال الشعر بعد أن تجاوز الخامسة والعشرين وبعد هجوم العرب على القيروان، إنتقل إلى سبته سنة ٤٤٩ هـ فاستدعاه المعتمد بن عباد وانتقل إلى الأندلس ٤٦٢ هـ وتوفي فيها سنة ٤٨٨. انظر المصدر السابق.

وربما طَلَّيْتُ جُفُونَهَا بِالْكَحْلِ^(١) . بطريقة تُشَبِّه (الشدو) بالوقت الحاضر. قد يسبب الكحل مرضاً للعيون إذا أسيء استعماله. ويؤكد هذه الحقيقة العلمية الشاعرُ التطيليُّ بقوله^(٢): [الطويل]

وَيَا كُحْلَ أَجْفَانِي وَإِنْ غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا، وَقَدْ تَقَدَّى الْجُفُونُ مِنَ الْكُحْلِ

وقد فضل بعض الشعراء الكحل الرباني الطبيعي على التكحل كقول القائل^(٣): [الطويل]

وَأَعشَقُ كحلاءِ المدامعِ خِلَقَةً لئلا تُرى في عينها منةُ الكحلِّ

(٥) الخال :-

أو النشاقة^(٤)، تَنْبُتُ فِي أَيِّ بُقْعَةٍ مِنْ وَجْهِ الْغِيْدَاءِ أَوْ تَوْضَعُ اصْطِنَاعاً نَقْطَةً أَوْ نَقْطَتَانِ أَوْ نَقَاطٍ^(٥) . بألوانٍ مختلفةٍ وموادٍ متنوعة. أشهرُها المسك^(٦). لكثرة ما تَرَدَّدَ في وصفهم وغزلهم وللخال مكانةٌ سواء أكان على خَدِّ امرأةٍ أو غلامٍ^(٧). وقد شَغَفَ أبو بكر الداني بخالٍ على خَدِّ فزاده حُسناً. وازداد^(٨). الناظرُ شَغَفاً. [البسيط]

بَدَا عَلَى خَدِّهِ خَالٌ يَزِينُهُ فَزَادَ لِي شَغَفاً فِيهِ إِلَى شَغَفِ
كَأَنَّ حَبَّةَ قَلْبِي حِينَ رَوَيْتِهِ طَارَتْ فَقَالَ لَهَا فِي الْخَدِّ مِنْهُ قَفِي

(١) النفع : جـ ٤ م ٢ ص ١١٥ .

(٢) ديوان التطيلي : ص ١٢٣ .

(٣) الذخيرة : ق ١ م ١ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ وفي المعنى نفسه انظر المصدر نفسه : م ٢ ق ٢ ص ٨ .

(٤) المطرب من أشعار المغرب : ص ١٨٣ .

(٥) التزيق والحلي عند المرأة : ص ٢٦ ، ٢٨ .

(٦) الذخيرة : ق ١ م ٣ ص ٨٢٣ وانظر المصدر نفسه : م ٢ ق ٣ ص ٦٢٢ .

(٧) النفع : جـ ٤ م ٢ ص ١٩٢ .

(٨) المغرب : جـ ٢ ص ٤١٠ .

وقد تَبَوَّأَ الخَالُ مكانةً رفيعةً في أوصاف الجمال. فقِيلَ فيه^(١): [الطويل]

وَحَسْبُ الْيَالِي أَنهَا فِي زَمَانِهِ
بِمَنْزِلَةِ الْخِيَلَانِ فِي صَفْحَةِ الْخَدِّ

وقيل أيضاً: [المتقارب]

أَمْسِكْ بِصَدْعِكَ أُمَّ شَامَةَ
عَفَلْنَا عَنِ الْأَمْرِ حَتَّى التَّبِيسِ^(٢)

وَرُسِمَتْ صُورَةٌ فِي أَشْعَارِهِمْ بِطَرِيقَةٍ تَبَعَتْ عَلَى الإعجابِ بِهِ ، من ذلك قول

الرَّمَادِي^(٣): [الرملي]

وَسَوَادٌ فِي بَيَاضٍ قَدْ حَكَى
سُودَ خِيَلَانٍ بَوَّجَهُ ذِي نَعْجٍ^(٤)

وقوله^(٥): [الخفيف]

صَارَ فِيهَا الْخِيَلَانُ فِي الْوَرْدِ شَبِهَا
لِلْغَوَالِي فِي أَحْمَرَ التُّفَاحِ

وقد كُنيت المرأة الحسناء به فقيل: ذات الخال ، قال التطيلي^(٦): [الكامل]

يَا وَصَلَ ذَاتِ الْخَالِ هَلْ مِنْ مُرْجِعٍ
هِيَاتَ لَيْسَ لِمَا تَوَلَّى مُرْجِعُ

وتفنن الشعراء في تشبيه الخال أو التشبيه به . قال ابن خفاجة^(٧): [الطويل]

وَوَجْهٌ تَخَالَ الْخَالَ فِي صَحْنِ خَدِّهِ
فُتَاتَةٌ مَسَكٌ فَوْقَ جَذْوَةِ نَارِهِ

ومن جميل التشبيه به قول الشاعر^(٨): [الكامل]

غَازِلَتُهُ وَالْأَقْحَوَانَةُ مَبْسَمٌ
وَالْأَسُ صُدُغٌ وَالْبِنْفَسُجُ خَالٌ

(١) شعر ابن اللبابة : ص ٣٥ .

(٢) الذخيرة : م ١ ق ٣ ص ٨٢٣ . للأعمى التطيلي .

(٣) شعر الرمادي : ص ٥٨ .

(٤) النعج : الأبيضاخ الخالص . انظر هامش المصدر السابق .

(٥) المصدر نفسه : ص ٦١ .

(٦) ديوان التطيلي : ص ٧٨ .

(٧) الذخيرة : م ٢ ق ٣ ص ٦٢٢ .

(٨) الذخيرة م ٢ ق ٣ ص ٦٦٢ .

وجاء قول ابن اللبانة^(١) في تشبيه الزبيب الأسود بالخال: [البسيط]

أَهْدَيْتَ لِي مِنْ بَنَاتِ الْكَرَمِ فَكِهَةٌ كَأَنَّ طَيْبَ اللَّمَى مِنْ طَيْبِهَا شَرَقَا
حَبُّ أُنْتِنِي بِهِ حَبُّ الْقُلُوبِ وَخِي— لِأَنَّ الْخُدُودَ وَأَحْدَاقَ الْمَهَا نَسَقَا

وقول المنفقل^(٢): [الكامل]

وكانما الخيلانُ في وجناته ساعاتُ هَجْرٍ في زَمَانٍ وَصَالِ

وقد شَبَّهَ الْأَسْعَدُ^(٣) بِنِ بَلِيْطَةَ الْمَتَوْفَى سَنَةَ (٤٤٠هـ) خَالاً أَسْوَدَ لِحَارِيَّةٍ
غَلَامِيَّةٍ فَوَقَعَ عَلَى صَدْغِهَا كَأَنَّهُ نَقْطَةُ النَّوْنِ. [الطويل]

تَوَهَّمْ عَطْفَ الصَّدْغِ نَوْنًا بِخَدَّهَا فَبَاتَتْ بِمَسْكِ الْخَالِ تَنْقِطُهُ نُقْطَا
غَلَامِيَّةٌ جَاءَتْ وَقَدْ جَعَلَ الدُّجَى لِخَاتَمٍ فِيهَا فَصٌّ غَالِيَّةٌ خَطَا

وفي الخالين يقول الرَّمَادِي^(٤): [الرملي]

مُعْجَمُ الْخُسَيْنِ بِخَالَيْنِ: عَلِيٌّ ثَغْرُهُ الْأَصْنَعْرُ وَالْخَدُّ الْأَجْلُ
فَالَّذِي فِي الْخَدِّ طَوْرًا أَقْلٌ تَحْتَ صَدْغٍ فَوْقَ صُبْحٍ قَدْ رَحَلُ

وتبدو النقط التي توضع على الوجه إنتقلت إلى الجيد على شكل نقاطٍ أو

كتابات لزيادة الزينة والتأنق يقول الرَّمَادِي^(٥): [الوافر]

(١) شعر ابن اللبانة : ص ٦٩.

(٢) المغرب في حلي المغرب: ج ٢ ص ٩٩.

المنفقل: أبو أحمد عبد العزيز بن خيرة من اعلام الشعراء في مدة ملوك الطوائف. انظر

الذخيرة: ج ٢ ق ١ ص ٧٥٤.

(٣) تاريخ الأدب العربي/ الأدب في المغرب والأندلس : ج ٤ ص ٤٩٢.

ابن بليطة: أبو القاسم الأسعد بن إبراهيم بن أسعد بن بليطة شاعر مجيد تردد على ملوك

الوائف ونال جوائزهم وتوفي (٤٤٠هـ). انظر العماد الأصبهاني: فريدة القصر: ج ٢

ص ٦٧٦.

(٤) شعر يوسف بن هارون: ص ٩٧.

(٥) شعر يوسف بن هارون : ص ٦٥.

تَبَدَّتْ مِنْ سَطُورٍ فِي عَقُودٍ
بَدَتْ فِيهِ مَعَانٍ مِنْ فَرِيدٍ^(٢)

كَانَ الْكُتُبُ أَجْيَادُ الْغَوَالِي
كَانَ سَطُورُهَا جَزَعٌ^(١) بَهِيمٌ

وعلى رأي ابن حزم أن أحسن من وصف الخال قولهم^(٣): [الوافر]

الْوَامِي عَلَى كَلْفٍ بِيحِي مَتَى مِنْ حَبِهِ أَلْقَى سَرَاخًا
وَبَيْنَ الْخَدِّ وَالشَّفَتَيْنِ خَالٌ كَزَنْجِيٍّ أَتَى رَوْضًا صَبَاخًا
تَحَيَّرَ فِي جَنَاهِ فَلَيْسَ يَدْرِي أَيْجَلِي الْوَرْدِ أَمْ يَجْنِي الْأَقَاخَا

وكانت تُزِينُ الشَّفَةَ بِالْحُمْرَةِ. وَيُحَدِّدُ شَارِبًا. وَيُخَطُّ بِالْأَلْوَانِ الْمُخْتَلَفَةِ أَوْ
بِالْمَسْكِ. وَرَبَّمَا اقْتَصَرَتْ هَذِهِ الزِينَةُ عَلَى الْجَوَارِي الْغَلَامِيَّاتِ مِنْ ذَلِكَ
قَوْلُهُمْ^(٤): [الطويل]

فَأَيْدِيْتُ وَجَهَا تَحْتَ تَرْجِيلِ لِمَةٍ فَكَانَ كَبْدَرٍ تَحْتَ لَيْلِ مُرَجَّلٍ^(٥)
وَمَثَلَهُ بِالْبَدْرِ أَيْضًا حَقِيقَةً بِغَالِيَةٍ صِرْفٍ أَتَقُّ مُمْتَلًا
عَذَارَانِ خَطَا فَوْقَ وَجْهِكَ زِينَةً عَلَيْهِ وَحِبًّا لِلْعَذَارِ الْمُعْجَلِ
وَقَدْ طَرَّ مِنْهَا شَارِبٌ فَوْقَ مَبْسَمٍ كَغُصْنِ عَقِيقٍ بِاللَّالِيِّ مُكَلَّلِ

وكان يُسْتَعْمَلُ قَشُورُ أَصْلِ الْجَوْزِ، لَصَبِغِ شَفَاهِ خُرَاجِيَّاتِ الْخَانَاتِ^(٦).

ومن وسائل تجميل المرأة نَقْفُ الشَّعْرِ مِنَ الْوَجْهِ وَاسْتِعْمَالُ الْمَسَاحِيقِ، وَدَهْنُ
الشَّعْرِ، وَطَلْيُ الْوَجْهِ وَدَهْنُهُ. يَقُولُ ابْنُ شَهِيدٍ^(٧): [البيسط]

(١) الجزع: هو الخرز. والبهيم: الأسود.

(٢) الفريد: العقد.

(٣) فضائل الأندلس وأهلها: ص ٤٤.

(٤) شعر الرمادي: ص ١٠٧-١٠٨، وانظر التشبيهات: ص ١٢٨.

(٥) الشعر المرجل: المشرح الكثير الأدهان.

(٦) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٢٤٢.

(٧) المصدر نفسه: م ١ ق ١ ص ٢٦٠.

يعتادُهُ كُلُّ مُحْفُوفٍ مَفَارِقُهُ مِنْ الدِّهَانِ عَلَيْهِ سَحَقُ أَسْمَاخِ
وهكذا وجدنا المرأة مهتمةً بنفسها مكملةً جمالها بتزينها وزينتها.

(٦) الخضاب :-

لما كان الشيبُ مُعيباً^(١). وعلامة من علاماتِ قَدِّ الشَّبَابِ^(٢). لذا كَرِهَتْهُ الْمَرْأَةُ^(٣).
وَكَرِهَتْهُ الرَّجُلُ. فَاسْتَعْمَلُوا الْخَضَابَ لِصَبْغِهِ وَتَغْطِيَتِهِ^(٤).

رَوَى عَنْ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَضَابَ. كَمَا رَوَى عَنْ
مَعَاوِيَةَ (لَهُ خَاضِبَةٌ تُخَضِّبُهُ بِالسَّوَادِ) .. وَلَمَّا فَرَّغَتْ مَرَّةً مِنْ خَضَابِهِ
أَنْشَدَتْهُ^(٥): [البسيط]

هَلْ عِنْدَكَ الْيَوْمَ شُكْرٌ لَتِي جَعَلْتُ مَا ابْيَضَّ مِنْ قَادِ مَاتِ الرَّأْسِ كَالْحِمَمِ
وَاسْتَخْدَمَ الشُّعْرَاءُ الْخَضَابَ^(٦). حَيْثُ ذَكَرَ عَنْ أَبِي الْمَطَّرِفِ الْمَتَوْفِيِّ سَنَةَ
(٤٨٠ هـ) أَنَّهُ كَانَ يَعْانِي الْخَضَابَ وَيَثَابِرُ عَلَيْهِ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ وَكَانَ حَاضِرًا فِي
مَجْلِسِ الْمَعْتَمَدِ: [المتقارب]

خَضَابٌ^(٧) لَعْمَرِكَ لَا لِلنِّسَاءِ وَلَكِنَّهُ لِفُحُولِ الرِّجَالِ

فَخَاطَبَتْهُ بِشَعْرِ قَالَ فِيهِ: [المتقارب]

(١) الأذكياء : ص ٢٣٠.

(٢) الذخيرة: م ١ ق ٣ ص ٢٥٢.

(٣) ديوان التطيلي: ص ٨.

(٤) الذخيرة : م ١ ق ١ ص ٢٤٢.

(٥) المصدر نفسه: م ٢ ق ٣ ص ٧٧٥. وانظر الذخيرة : م ١ ق ٣ ص ٣٨٩.

(٦) النفع : ج ٣ ص ٢٥.

(٧) الذخيرة: م ١ ق ٣ ص ٢٥٢.

ابن الدِّبَاغِ: هُوَ أَبُو الْمَطَّرِفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ فَاخِرٍ مِنْ سُرَّسْطَةَ. كَانَ ابْنُ الدِّبَاغِ أَدِيبًا نَائِرًا
شَاعِرًا كَاتِبًا.

يُهَانُ بِمَحْضِ عَزِيزِ الرِّجَالِ وَيُعْزَى إِلَيْهِمْ قَبِيحُ الْفَعَالِ

ولعلَّ الرجلَ (يتحَبَّبُ إلى الغواني بالمشيب الخضيب) ^(١) وقد عللت بعض الباحثات حبَّ المسلم للخضابِ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الشريف (عليكم بالخضابِ فإنه أهيَّبُ لعدوكم وأعجبُ لنسائكم) ^(٢). ويرى بعضهم الآخر أن الخضاب (مخادعة للنفس) ^(٣).

لكننا نجد الخضابَ والكحلَ منذ القدم، علامةً من علاماتِ الراحةِ والفرحِ. وربما الشماتة. فقد ذكر ابن عبد ربه (لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم شمَّنتُ به نساءُ كِنْدَةَ وحضرموت، وخَضِبْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَأظْهَرْنَ السَّرُورَ لِمَوْتِهِ، وَضَرَبْنَ بِالذِّفُوفِ) ^(٤). ولقد خَضَبُوا الرِّايَاتِ بِالْحَنَاءِ إِسْتِبْشَاراً بِالنَّصْرِ يَقُولُ ابْنُ خَفَّاجَةَ ^(٥): [الطويل]

كَأَنَّ لِسَانَ الْبَرَقِ مِنْهُ عَشِيَّةٌ لَوَاءٌ خَضِيبٌ أَوْ رِدَاءٌ مَذْهَبٌ

ويبدو الخضاب عند المرأة الأندلسية علامة من علامات الفرح أيضاً لذا وجدناها تعزف عنه أثناء حزنها ^(٦). وقد وردت إشارات كثيرة في شعر ملوك الطوائف تذكرُ الخضابَ بألوانه المختلفة كالأسود ^(٧). يقول أبو الحسن الحصري (ت ٤٨٨هـ) .. في صبغ اليد البيضاء بالخضاب الأسود: [الكامل]

(١) فضائل الأندلس وأهلها: ص ٣٠.

(٢) الدكتورورة بتول العلاف: عناية المرأة بشعرها عبر العصور، بحث في مجلة الأديبة: ص ٩٤ عدد ٢ سنة ١٩٦٩.

(٣) صيد الخاطر: ٢ ص ٣٤٠.

(٤) بهجة المجالس وأنس المجالس: ج ١ ص ٧٤٣.

(٥) الذخيرة: م ٢ ق ٣ ص ٦٣٦.

(٦) النفع: ج ٦ م ٣ ص ٣٧.

(٧) الذخيرة: م ١ ق ٢ ص ٢٢٩.

خضبت يديها لونَ فاحمها فما
ما بال شيبى تتكرين خضابهُ
نقصَ البياضُ ملاحَةً بِل زاداً
وأراك صابغةً البياضِ سواداً
بدلتُهُ أسفاً عليك حداداً
قالت فجيعتك في يدىَّ وإنما

ويقول ابن حمد يس^(١) في الحناء: [المربع]

سُودَ الحنّاءِ في كفّها
كفٌ من الكافور - هذي التي
عشقاً لمسودّ عذار الشبابِ
أرى من المسكِ عليها خضابُ

وفي صبغها الأحمر يقول ابن زيدون^(٢): [الطويل]

له مَبَسَمٌ عَذْبٌ . وَخَدٌّ مُورَدٌ
وكفّ ، بحناً المُدام ، تَقْنَأُ

ومثلما خضبن بنهائهن، خضبن معاصمهن، وسوقهن، وربما خضبن شفاهن،
لتكتسب اللون الأحمر . كما استعملن قشور الجوز لصبغها^(٣). يقول
التطيلي^(٤): [المتقارب]

كسا سُوقهاً ومناقيرها
وأعينها عندماً أورقانا^(٥)

وقال ابن خفاجة^(٦): [الطويل]

جرى الحُسْنُ ماءً فوقَهُ غيرَ أَنَّهُ
وأقصى مُنى الكفِّ الخضيبِ لو أننى
إذا ما جرى نارُ الغضا مُتَضَرِّماً
وَصَلَّتْ بِها ذاكَ المُهْنَدِ مِعْصَماً

ومن التشبهات الجميلة لصبغ الشفاة بالخضاب الأحمر قوله^(٧): [الكامل]

(١) ديوان ابن حمد يس : ص ٩.

(٢) ديوان ابن زيدون: ص ٤٦ ، وانظر ص ٥٤. تحقيق نديم مرعشلي.

(٣) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ٢٤٢.

(٤) ديوان التطيلي: ص ١٩٠.

(٥) الرقان: اسم من أسماء الحناء.

(٦) الذخيرة : م ٢ ق ٣ ص ٥٦٢.

(٧) النفع : ج ٢ م ١ ص ٢٠٢.

من كل قاصرة الخطا مختالة مشي الفتاة تجرُّ فضّل إزار
مخضوبة المنقار تحسب أنها كرتت على ظمأ بكأس عقار

وأصباغ الأظافر تبدو شائعة ومستعملة عندهنّ ، وقد أشار إليها ابن خفاجة
قائلاً^(١): [الكامل]

يُرمى به الأمل القصي فينتهي مخضوب راء الظفر والمنقار
وكانت تخضب العجايز بالحناء^(٢) . كما تخضب العرائس^(٣) ومثلما استعملته
الحرّة استعملته الجارية. وقد صور الرمادي خضاب جارية مغنية قائلاً^(٤): [المتقارب]
وأوتار مخضوب البنان كأنها حمام وصبري حين طل هديله

(٧) الطيب :-

أصول الطيب خمسة أصناف : المسك والكافور والعود، في أرض الهند،
والعنبر والزعفران في الأندلس^(٥). وعرف عندهم المحلب، والورد الزكي العطر،
والسنبل الروحي. وعرفت الأندلس ببلد العنبر^(٦). ويسقّر براً وبحراً ويُعدّ من مفاخر
أهلها^(٧).

وأحبّ العرب الطيب وقد جاء عن الرسول محمد صلى الله عليه وسلم (خير
طيب الرجال ما ظهر ريحُه وخفي لونه، وخير طيب النساء ما أظهر لونه وخفي
ريحُه)^(٨).. وقد قالت الحكماء: (من طاب ريحُه زاد عقلُه)^(٩).

- (١) ديوان ابن خفاجة: ص ٣٥.
- (٢) نفع الطب : ج ٤ م ٢ ص ٣٨٣.
- (٣) الذخيرة : م ٢ ق ٣ ص ٥٧٢ (شعر ابن خفاجة).
- (٤) شعر الرمادي: ص ١٠٤ - قطعة ٩٥.
- (٥) الروض المعطار: ص ٢٣٢- وانظر المصدر نفسه: ص ٣٤٩.
- (٦) المصدر نفسه: ص ٢٤.
- (٧) فضائل الأندلس وأهلها: ص ٥٥ - ٥٦.
- (٨) ربيع الأبرار ونصوص الأخبار : ج ٢ ص ٢٧٢ وانظر صيد الخاطر: ج ١ ص ٣٦.
- (٩) صيد الخاطر: ج ٢ ص ٣٤٢.

ونرى ابن زيون قد أكد قولهم حين قال^(١): [الكامل]

عِطْرٌ هُوَ الْمِسْكُ التَّسْطُوعُ يَطِيبُ فِي شَمِّ الْعُقُولِ أَرْجُهُ الْمُتَنَسِّمُ

لذا وجدنا الملوك قد بالغوا في استعمال الطيب زيادة في التمتع والترف فكانوا يكثرون (من ذرّ الطيب في قصورهم حتى يطوؤوه بأقدامهم)^(٢).

أما النساء فقد توافدن على باب العطارين وكان ملتقاهن هناك (لأنه كان موضعاً لبيع العطور وأدوات الزينة)^(٣). لما عُرف عنهن من الإهتمام بمكملات زينتهن. فقد تطيبن بالمسك والكافور^(٤) وتبخرن بالند^(٥). وتعطرن بماء الورد^(٦). وتضوعن برياً القرنفل^(٧) والعنبر والزعفران والعود (المرتك)^(٨) والألوة^(٩)، وقد وردت إشارات في الشعر تؤكد استعمال المرأة له، بأنواعه المختلفة، ولكننا نجد المسك أكثر العطور استعمالاً على الرغم من إرتفاع ثمنه فيدل على أنها منعمة، ولم تبخل على إكمال زينتها. يقول ابن حصن الإشبيلي^(١٠): [الخفيف]

بكرت سحرة قبيل الذهب تنفض المسك عن جناح التراب

(١) ديوان ابن زيون: ص ٢٨ . تحقيق نديم مرعشلي .

أصل العنبر : عيون تتبع في قعر البحر يصير منها ما تبتلعه الدواب وتذفقه.

قال الحجاري: ومنهم من قال إنه نبات في قعر البحر.

(٢) النفح: ج ٦ م ٣ ص ٩.

(٣) طوق الحمامة: ص ٥٣.

(٤) الذخيرة: م ١ ق ١ ص ١٤٨.

(٥) المصدر نفسه: ق ٤ م ١ ص ٨٥-٩٥.

(٦) النفح : ج ٤ م ٢ ص ٢١٨.

(٧) المصدر نفسه: ج ٣ م ٢ ص ٤٣٧.

(٨) النفح: ج ٤ م ٢ ص ١٢٣.

(٩) ديوان ابن زيون: ص ٣٥٤ . تحقيق علي عبد العظيم.

(١٠) الذخيرة: م ١ ق ٢ ص ١٥٨.

وفي المبالغة في استعماله يقول ابن شهيد^(١): [المتقارب]
فَوَلَّتْ وَلِلْمِسْكِ فِي ذَيْلِهَا عَلَى الْأَرْضِ خَطُّ كظهِرِ الشَّجَاعِ
وقول التطيلي^(٢) مشيراً إلى تأثير المسك: [البيسط]

أهْوُ بِمِسْكِ شَذَاهَا لَا أَحَاوُلُ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ وَلَوْ حَاوَلْتُ لَمْ أُطِيقِ
فَبْتُ أَحْسَبُ أَنِّي قَدْ طَرَقْتُ بِهَا رَوْضًا شَمَّتْ بِهِ حُلْيَا وَلَمْ أَذُقِ
وقول ابن حمد يس^(٣) في ذر المسك على الترائب: [الكامل]

قَرَنُوا بِوَرْدِ الْخَدِّ عَقْرَبَ صَنْدُغِهِ وَرَوَا تَرَابَ الْمِسْكِ فَوْقَ تَرْبِيهِ
وَالْعَيْنُ حَيْرَى مِنْ تَأَلَّقِ نُورِهِ وَالنَّفْسُ سَكْرَى مِنْ تَضْوَعِ طَيْبِهِ
وكان يُنْقَشُ بِالْمِسْكِ عَلَى الْخُدُودِ^(٤). وقد يُمَزَّجُ الْمِسْكَ مَعَ النَّدِّ وَيُعَطَّرُ بِهِ الْفَمُ^(٥).

وأشار ابن خفاجة^(٦) إلى تطيب الشعر بالمسك قائلاً: [مجزوء الكامل المرفل]
يَغْدُو وَكَافُورِ الْجَبِينِ نَدٍ وَمِسْكِ الشَّعْرِ اسْحَمِ

(وقد دخل الوزير أبو الفضل محمد بن عبد الواحد (المتوفى سنة ٤٥٥هـ—)

على قينة وهي تتبخر بالند ، ودخانها قد علا وجهها فقال)^(٧): [الطويل]

وَمَحْطُوطَةُ الْمَتَيْنِ مَهْضُومَةُ الْحَسَا مُنْعَمَةُ الْأُرْدَانِ تُدْمِي مِنَ اللَّمِيسِ
إِذَا مَا دُخَانُ النَّدِّ مِنْ جَبِيهَا عَلَا عَلَى وَجْهِهَا أَبْصَرَتْ غَيْمًا عَلَى الشَّمْسِ

وفي استعمال المرأة للعنبر والعبير يقول أبو محمد^(٨) بن قليل البجائي:

[الكامل]

(١) المصدر نفسه: م ١ ق ١ ص ٢٦٤.

(٢) ديوان التطيلي: ص ٨٨.

(٣) ديوان ابن حمد يس: ص ١٠.

(٤) النفع: ج ٤ م ٢ ص ١٨٠.

(٥) أزهار الرياض: ج ٣ ص ١٧٧.

(٦) الذخيرة: م ٢ ق ٢ ص ٥٧٩.

(٧) المصدر نفسه: ق ٤ م ١ ص ٨٥ و ٩٥ وانظر النفع ج ٤ م ٢ ص ١١٠.

(٨) المغرب في حلي المغرب: ج ٢ ص ١٩١. البجائي: ترجم له الحميدي في الجدوة أنه من شعراء المائة الخامسة.

وَكَانَ عَرَفَ نَسِيمِهَا عِنْدَ الصَّبَا عَرَفَ الْعَبِيرِ يَفُوحُ مِنْهُ الْعَنْبَرُ
وَفِي تَفْضِيلِ النَّدِّ عَلَى سَائِرِ الْعَطُورِ يَقُولُ ابْنُ الْأَثَرِ (١) (ت ٤٣٣ هـ): [مخلع

البسيط]

لَوْ كُنْتَ حَلِيًّا لَكُنْتَ عَقْدًا أَوْ كُنْتَ طَيِّبًا لَكُنْتَ نَدَا
وَمِثْلَهُ قَوْلُ الْأَلْبِيرِيِّ (٢) (ت ٤٦٠ هـ) فِي رِيَا الْقَرْنَفَلِ: [البسيط]
رِيًّا الْقَرْنَفَلِ فِي رِيحِ الصَّبَا سِحْرًا يَضُوعُ مِنْهَا إِذَا نَحَى قَدْ أَلْتَفَتَتْ
وَرَبَّمَا عَرَفَتْ الْمَرْأَةُ الصَّنَدَلَ وَتَطَيَّبَتْ بِهِ وَقَدْ وَرَدَ ذِكْرُهُ عِنْدَ ابْنِ
خَفَاجَةَ (٣): [الكامل]

وَجَنَيْتُ رَوْضًا، فِي قِنَاعِكَ، أَزْهَرَا وَقَضَيْتُ بَانَ، فِي وَشَاكَ، أَثْمَرَا
ثُمَّ أَتَيْتُ، وَقَدْ لَبِسْتَ مُصْنَدَلًا وَطَوَيْتُ، مِنْ خَلْعِ الظَّلَامِ، مَعْبَرَا
وَقَدْ عَرَفْتُ ضَرْبًا آخَرَ عَنِ الطَّيِّبِ وَهُوَ (الْأَلْوَةُ) وَيَبْدُو أَنَّهَا تَبَخَّرَتْ بِهِ، وَإِلَيْهِ
أَشَارَ ابْنُ زَيْدُونَ (٤): [الطويل]
إِذَا اسْتَحْفَظْتَ سِرَّ السَّرَى جُنْحَ لَيْلِهَا تَتَأَنَّى النَّمُومَانِ: الْأَلْوَةُ، وَالنَّدُّ (٥)

وهكذا عرفت المرأة الأندلسية كل تلك الأنواع من الطيب وتزينت بها.

(١) الحلة السيرة: رسالة دكتوراه ص ٤٤٠. لعبد الله أنيس الطباع.

(٢) النفع: ج ٣ م ٢ ص ٣٧٠.

(٣) شعر ابن خفاجة: كرم البستاني ص ٨٨. المصنل: المطيب بالصنل.

(٤) ديوان ابن زيدون: ص ٣٥٤.

(٥) ثنائي: تحدثت من نثا الحديث أي حدثت به وأشاعه، وتناثروا الحديث تذاكروه، الألوة: عود يتبختر به: الند: ضرب من الطيب، والمعنى: إذا سرت متخفية للقاء تحت أستار الظلام تم عليها عبيرها الطيب.